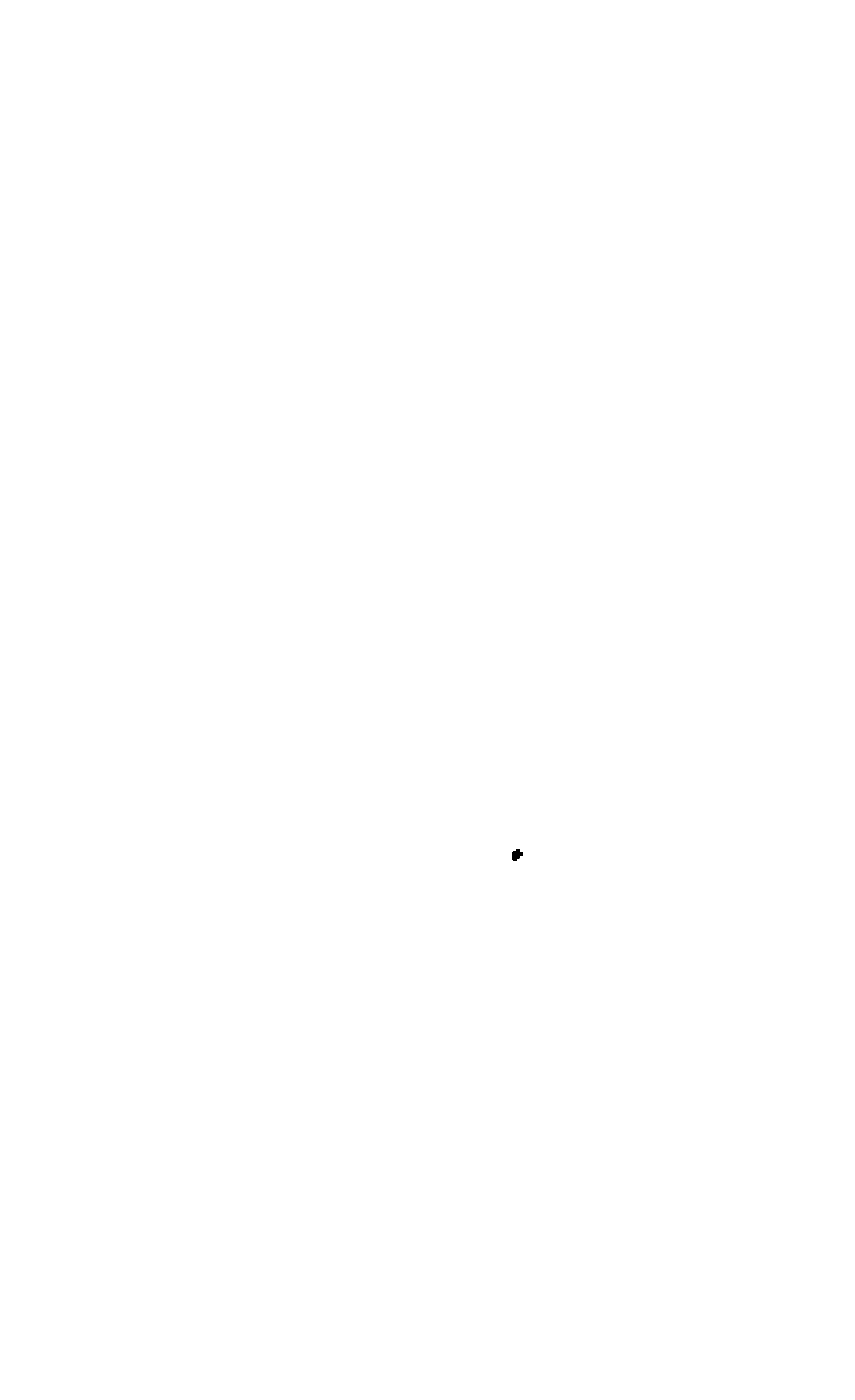


مَنَارُ ٱلحقّ

رسالة

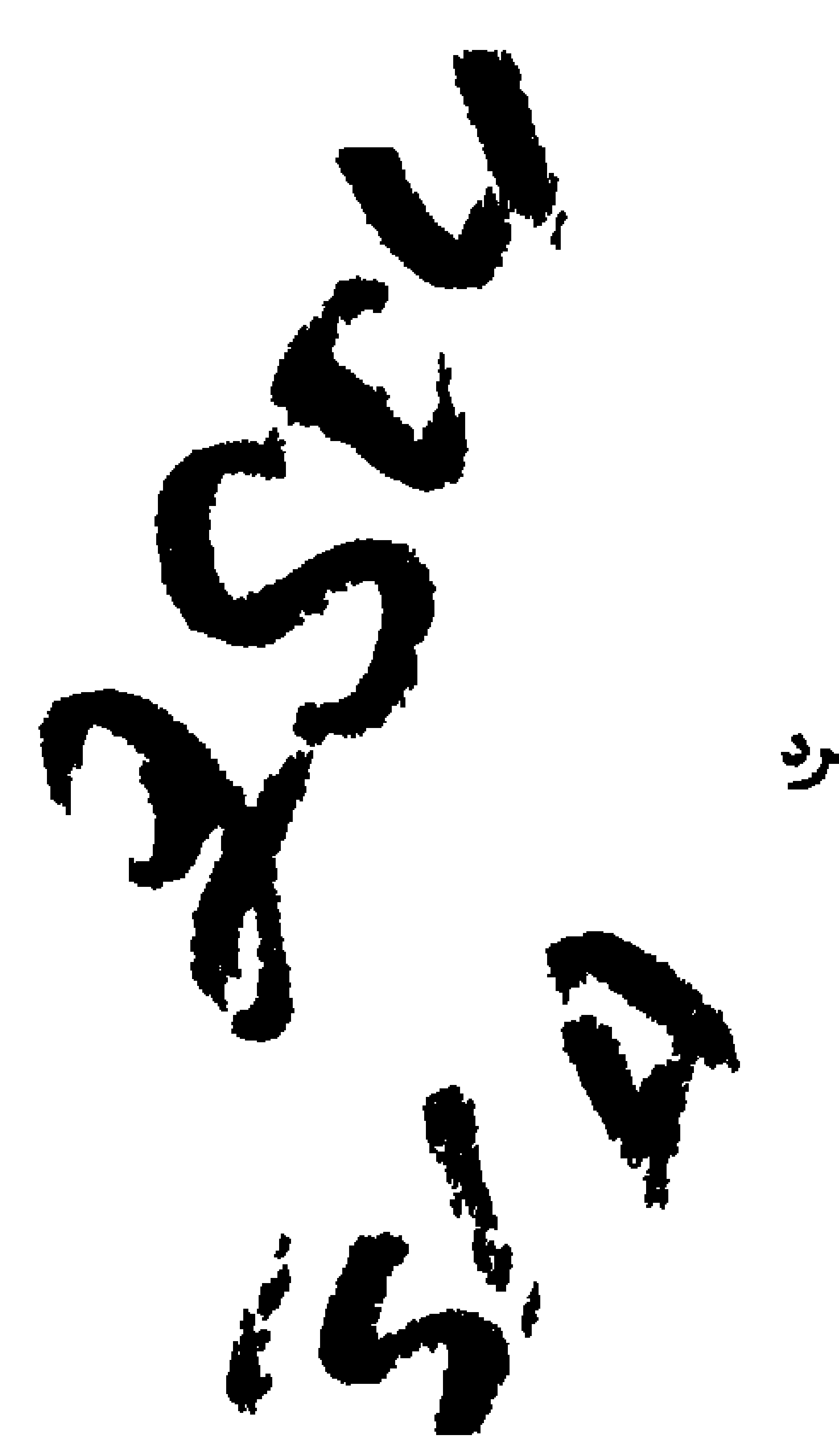
في الادلّة القاطعة

على

صحة الديانة النصرانيّة

اقتنِ الحقّ ولا تبعهُ

ام ٢٣ : ٢٣



طبع

في المطبعة المدرسيّة في مدينة اوكسفرد

سنة ١٨٥٤ مسيحيّة

Oxford
HORACE HART, PRINTER TO THE UNIVERSITY

فاتحة

الحمد لله الذي انزل الكتاب نورًا وهدىً لأُولي الالباب. واقامهُ بالبيّنات الراهنات حجّة الله مدى الازمنة والاوقات

امّا بعد فلمّا كان للمسلمين في قرآنهم من حسن الشهادة للتوراة والانجيل ودلالة سلامتهما من شائبة التحريف والتبديل والماغ يُعتبَر الى لاهوت عيسى المسيح وكان اكثرهم يرمون الكتاب بالتحريف والتصحيف ولا يعتبرون المسيح الاّ كاحد الانبياء العظام او دون بعضهم في العظمة والمقام. كأنّهم لم يتلوا من القرآن الاّ شذرات ولم تمرّ ابصارهم على كبار الآيات المبينة سلامة الكتاب والجاعلة المسيح موضوع العجب العجاب كنت كثيرًا ما انمرمر من جراء ذلك في داخلي واطرح تضرّعي امام الهي ان يعلن لهم حقّ ابنهِ بواسطة كتابهم مفكّرًا في ما الوسيلة الحُسنى لذلك يأتي الى ان اتاح لي الله الاطّلاع على اشهر كتبهم الدينيّة بعد القرآن ككتب السنة (الحديث) وكتاب السيرة النبويّة وكتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي وتفسير القرآن للامام الفخر الرازي وتفسيرهِ للامام البيضاوي والجلالين فاخذت

في دراستها واستخلاص زبدة خلاصتها ثم اخذت اصرف قصارى جهدي بجمع الآيات القرآنية الدالة على صحة الديانة المسيحية مع خلاصة تأويلها في كتب الائمة المذكورين ولمّا تيسّر لي بعونه تعالى نوال المطلوب نسقتُها على المنوال المُدرَج في هذا المؤلف مع تعقيبين ملاحظاتٍ وذيول للابواب وخاتمة فجاء بحوله تعالى كتابًا صغير الحجم كبير الفائدة راجيًا من لا يُرتجى سواهُ ان يفيد به من يقف عليه ويتروّاه. ولما كنتُ لا اجهل قصر باعي في فنّ الانشاء والتأليف لا آمَن خلوّهُ من الضعف والركاكة غير ان املي بحلم القارئ النبيل ان يسبل ذيل المعذرة على ما يَرَى فيه من الوهن والتقصير ويُصلِح ما رُبمّا يراهُ فيه من الخطاء والنسيان كما هو من شيَم الكرام فان العصمة لله والسلام

ألبابُ ألاوّل

في الآبات المبيّنة كون محمد ما أُرسل بالآيات المعجزات والدالّة على انهُ ما اتى بآيةٍ او اعجوبةٍ

"وقالوا لولا نُزِّل عليهِ آيةٌ من ربّهِ قل ان اللّه قادرٌ على ان ينزّل آيةً ولكن اكثرهم لا يعلمون" (سورة الانعام آية ٣٧)

. (التفسير) قالوا ان هذا النوع الرابع من شبهات منكريّ نبوة محمد صلى اللّه عليهِ وسلم وذلك لانهم قالوا لو كان رسولاً من عند اللّه فهلّا أُنزل عليه آيةً قاهرةً ومعجزة باهرة ويُروى ان بعض الملحدة طعن فقال لو كان محمد قد اتى بآيةٍ معجزة لما صح ان يقول اولئك الكفار لولا نُزّل عليه آية ولما قال ان اللّه قادرٌ على ان ينزّل آيةً والجواب عنه ان القرآن معجزة قاهرة وبينة باهرة بدليل انهُ صلى عليهِ وسلم تحدّاهم بهِ فعجزوا عن معارضته وذلك يدل على كونه مُعجزًا بقي ان يقال فاذا كان الأمر كذلك فكيف قالوا لولا نزّل عليهِ آيةٌ من ربّهِ فياتى الإمام بالجواب على ذلك ونذكر بعضاً من وجوهِ ملخصاً

(الوجه الاوّل) لعل العوم طعنوا فى كون القرآن مُعجزًا . . . فقالوا انهُ من جنس الكتب والكتاب لا يكون من جنس المعجزات كما فى التوراة والزبور والانجيل ولاجل هذه الشبهة طلبوا المعجزة

(الوجه الثاني) انهم طلبوا معجزات قاهرة من جنس معجزات سائر الانبياء مثل فلق البحر واظلال الجبل واحياءِ الموتى فاجاب اللّه عن سؤالهم "قل ان اللّه قادرٌ على ان ينزّل آية" اي من نوع ما اقترحتموهُ "ولكن اكثرهم

لا يعلمون" واختلفوا في تفسير هذه الكلمة زعم السنّية ان المراد لمّا انزل الله القرآن آيةً باهرة ومعجزة قاهرة كان طلب الزيادة جاريًا مجرى التحكّم والتعنّت الباطل والله سبحانه له الحكم والامر فان شاءَ فعل وان شاءَ لم يفعل او على وفق المصلحة على قول المعتزلة

(الوجه الثالث) هو انه لمّا ظهرت المعجزة القاهرة والدلائل الباهرة الكافية لم يبقَ لهم عذرٌ ولا علّة فبعد ذلك لو اجابهم الله تعالى في ذلك الاقتراح فلعلهم يقترحون ثانياً وثالثاً ورابعاً وهكذا الى ما لا غاية له وذلك يفضي الى ان لا يستقرّ الدليل ولا تتمّ الحجّة فوجب في اول هذا الامر سدّ هذا الباب والاكتفاءُ بما سبق من المعجزة القاهرة والدلالة الباهرة

(الوجه الرابع) انهُ لو اعطاهم ما طلبوا من المعجزات القاهرة فلو لم يؤمنوا عند ظهورها لاستحقوا عذاب الاستيئصال فاقتضت رحمة الله صونهم من هذا البلاء فما اعطاهم هذا المطلوب رحمةً منه تعالى وان كانوا لا يعلمون (رازى مجلد رابع وجه ٥٣ و ٥٤)

"وقالوا لولا نُزِّل عليهِ آيةٌ من ربّهِ قل ان اللّه قادرٌ على ان ينزِّل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون"

(التفسير) اي ممّا اقترحوهُ وان الله قادرٌ على إن ينزِّل مما اقترحوهُ غير ان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما أُنزل مندوحة عن غيرهِ. (بيضاوي مجلد اول وجه ٢٧٧)

(ملاحظة) لا يلام قريش بعدلٍ على اقتراحهم على محمد آيه كآيات الانبياء السالفين والقول ان الله قادرٌ على ان ينزل آية ليس بحجّة وتمكنهم ان يجيبوا نعم ان الله قادرٌ على انزال الآيات وبيان قدرته على انزالها انه انزلها على انبيائهِ السالفين كموسى وعيسى ولو كان محمد كواحدٍ منهم لساواهُ بهم من هذا العمل والقوم لو راوًا القرآن معجزة لاكتفوا بهِ عن اقتراح آية ولو كان كذلك لما كان الجواب في الآية "قل ان الله قادرٌ على ان ينزل آية" بل قل ان القرآن لهم آية والعرب لا يجهلون ان لبعض بلغائهم كامرىءِ القيس والنابغة وقس الفصاحة من الخطب والقصائد ما اعجزت الاخرين عن الاتيان بمثلها فهل اعتبروها آيات واذا كان القرآن معجزة قاهرة مثل احياءِ الميت وفلق البحر

فما المانع لاصحابهِ بآيةٍ من جنس آيات موسى وعيسى وماذا يضر ذلك بحكمة الله والقول انه لو اجابهم الله الى طلبهم فلعلّهم يقترحون ثانياً وثالثاً ورابعاً انما هو من باب الظن فلا يؤخذ بهِ ويقال بمقابلة ذلك لعلّهم كانوا اكتفوا واقتنعوا لان مطلوبهم آية كأنهم قالوا كيف نقبل ادّعاء رجل هكذا بالنبوة والرسالة من دون آيةٍ تبرهن صحة دعواه كما برهن انبياء اسرائيل لقومهم صحة دعواهم بالآيات التى أُوتوها أفلا يأتينا محمد بواحدةٍ منها لنؤمن بهِ والقول ان هذا الطلب من العرب كان جارياً مجرى التحكم والتعنت الباطل لا يُرى من الانصاف بشيءٍ ومحمد جاءهم بدينٍ يختلف عن دين بني اسرائيل ودين النصارى ودين ابائهم فما عدم قبولهم اياه من دون آيات قاهرة كآيات الانبياء المتقدمين الّا دليل حذقهم ونباهتهم وخلوص نواياهم ومسئلة استحقاق عذاب الاستيصال لغير المومنين بالآيات ندع النظر فيها لمحلٍّ آخر اولى بهِ من هذا

"واذا لم تأتهم بآيةٍ قالوا لولا اجْتَبيتَها قل انما اتّبع ما يوحى اليّ من ربي هذا بصائر من ربكم وهدًى ورحمة لقومٍ يومنون" (سورة الاعراف آية ٢٠٢)

(التفسير) خلاصة التفسير ان العرب اقترحوا على محمد آية من ربه تثبت ارساليتهُ منه تعالى فأُمِر ان يجيب بكلمة "قل انما اتّبع ما يوحى اليّ من ربي" الى آخر الآية لان عدم اتيانهِ بآية معجزة كما اقترحوا عليه لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة قاهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت (رازى مجلد ٣ وجه ٤٩٩ و ٥٠٠)

(ملاحظة) اذا كان العرب اقترحوا على محمد آيةً تثبت ارساليته من الله فلا غرو ان ذلك منهم عن اخلاص ليكونوا على يقينٍ بانه رسول من اللهِ وهذا يُظهِر انهم ليس فقط ما اعتبروا القرآن آية معجزة بل راوا احتياجهُ الى آيةٍ تثبت انزالهُ من عند الله فباعتبار ذلك لا يقع على القوم شيٌ من التعنت ولاحظ انهم هناك قالوا فى غياب محمد "لولا نُزِّلِ عليهِ آية من ربهِ" وهنا طلبوا منه مواجهةً عمل آية بقولهم لولا اجتبيتَها فكأنهم غب ان تحدث بعضهم

مع بعض فى امر دعوى محمد وقالوا لو انزل الله عليه آية كآيات انبياء بني اسرائيل كنّا نقبل دعواهُ بفرحٍ ولكننا بدون ذلك لا نقدر ان نصدّقهُ قالوا هلم نطلب منه ذلك فاتوا وسألوهُ آيةً قائلين لولا اجتبيتها اي لو عملتها كنا نؤمن بك كنبي الله ورسولهِ الينا فما كان جوابهٔ لهم الّا قل انما اتبع ما يُوحَى اليَّ من ربي فهل ذلك بجوابٍ مقنعٍ لاولئك السائلين اباهُ آية برهاناً على ما يدّعي انه وحيُ الله اليه. كلّا

"ويقول الذين كفروا لولا انزل عليهِ آيةٌ من ربهِ انما انت منذرٌ ولكل قومٍ هادٍ" (سورة الرعد آية ٨)

(التفسير) خلاصتهُ ان الرسول عليه السلام منذر لقومهِ مبين لهم ولكل قومٍ من قبلهِ هادٍ ومنذرٍ وداعٍ وانهُ تعالى سوّى بين الكل في اظهار المعجزة الّا انهُ لكلِ قومٍ طريق مخصوص لاجله استحق التخصيص بتلك المعجزة المخصوصة فلما كان الغالب فى زمان موسى عليه السلام هو السحر جعل معجزتهُ ما كان من جنس تلك ولما كان الغالب في ايام عيسى عليه السلام الطب جعل معجزتهُ ما كان من جنس تلك الطريقة وهو احياءُ الموتى وابراءُ الاكمه والابرص ولما كان الغالب في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة جعل معجزتهُ ما كان لائقًا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها اليق بطباعهم فبأن لا يؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولى فهذا الذي قررهُ القاضي وهو الوجه الصحيح الذي يبقى الكلام معه منتظماً وكلمة انما انت منذر المعنى ليس لك الّا الانذار واما الهداية فمن الله تعالى (رازى مجلد ٥ وجه ٢٧٠ و ٢٧١)

وتفسيرها من البيضاوي هو يقولون ذلك لعدم اعتدادهم بالآيات المُنزّلة عليهِ واقتراحاً لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام "انما انت منذرٌ" مرسلٌ للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الّا الاتيان بما تصحّ به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يُقتَرح عليك "ولكل قومٍ هادٍ" يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب . . . على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوهُ وانما لم ينزل لعلمهِ بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد (بيضاوى مجلد اول وجه ٦٢٦)

(ملاحظة) انك ترى بين الآية وتاويلها بونًا عظيماً فانهُ ليس في الآية المانع الى

كون القرآن معجزة فقط انما انت منذر ولكل قوم هادٍ اي ليس لك الاّ الانذار كما ترى في تفسير الرازي وامّا القول بان الله سوّى بين الكل في اظهار المعجزة الى آخر القول فهو لعول باطل من وجهين (الاول) ان من آيات موسى ما لا يقرب الى طريقة السحر كضربة ابكار المصريين واغراق جيشهم في البحر وتفجير الماء من صخر وكذا من آيات المسيح ما لا يقرب البتة الى طريقة الطب كانزال مائدة من السماء وخلقهِ طيراً من طين حسب القرآن واشباعه من بعض الارغفة آلافاً ومشيهِ على الماء حسب الانجيل ولقد توالى موسى وعيسى انبياء وحواريّون كيشوع وإيليّا واليشع ورسل المسيح صنعوا آيات عديدة كآيات موسى وعيسى (الثاني) لم تكن الفصاحة والبلاغة خاصة بالعرب دون غيرهم من الامم بل كل امةٍ فصيحة بليغة في لغتها الخاصة ولا سيّما اليهود واليونان فانهما كانتا غايةً في الفصاحة والبلاغة كما هو ظاهر من مؤلفاتهم وخطبهم واشعارهم ولما لم يكن العرب في زمن محمد خالين من صناعتي السحر والطب وكانوا على جانب عظيم من النباهة وسرعة الخاطر كانت حالتهم وطباعهم تستدعي صنع معجزات من نبيٍّ قام بينهم اثباتاً لدعواهُ كما كانت حالة المصريين والاسرائيليين تستدعي ذلك

واذا كانت ديانتا موسى وعيسى أُثبتتا بالآيات والعجائب فبالاولى اذا قام شخصٌ ادّعى النبوة وجاء بدين يخالفهما بدعوى انهُ ناسخٌ لما قبله من الاديان ان يثبت دعواهُ ودينهُ بآياتٍ تفوق آيات ذينك النبيين والاّ فاتي لوم وحَرَج على من لا يصدّقهُ ويقبل ما جاء بهِ

"وما منعنا ان نرسل بالآيات الاّ ان كذب بها الاولون" (بني اسرائيل آية ٦١)

(التفسير) ملخصهُ ان كفار قريش قالوا لولا ياتينا بآيةٍ كما أُرسل الاولون وعن سعيد ابن جبير ان القوم قالوا لمحمد انك تزعم انهُ كان قبلك انبياء فمنهم من سُخّرت لهم الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فأتِنا بشيءٍ من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله "وما منعنا ان نرسل بالآيات الاّ ان كذب بها الاوّلون" المعنى انه تعالى لو اظهر تلك المعجزات القاهرة ثم لم يؤمنوا بها بل بقوا مصرين على كفرهم فحينئذٍ يصيرون مستحقين

عذاب الاستئصال لكن عذاب الاستئصال على هذه الامة غير جائز لان الله تعالى علم ان فيهم من سيؤمن او يؤمن من اولادهم فلهذا السبب ما اجابهم الله تعالى الى مطلوبهم (رازي مجلد ٥ وجه ٢٠٧)

وتفسير الآية من الامام البيضاوي هو وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش "الا ان كذب بها الاولون" الا تكذيب الاولين الذين هم من امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن (بيضاوى مجلد ١ وجه ٧٠٢)

(ملاحظة) ان القول بعذاب الاستئصال لمن كذب آيات المرسلين السهم هو مدحوض من التوراة فان المصريين كذبوا بآيات الله عن يد موسى ولم يسمعوا له فلم يستأصلهم الله بل اهلك منهم وابقى وبنو اسرائيل في ادوار كثيرة كذبوا انبياء الله وقتلوا منهم كثيراً ولم يستوجبوا بحكم الله عذاب الاستئصال بل لا يزالون امة قائمة على رغم كل ما أجري لابادتهم اما عاد وثمود فامرهما من الحكايات غير الموثوق بها وهب انهما بادا كطسم وجديس فلعل ذلك من توغلهم في الشر ومزاولتهم المغازي والحروب وإنشاء الامم وابادتها سُنّة الله في خلقه ينشي ويفني لحكمة منه وغاية لا تدرك وبعد لا يُعلم عن امة قام فيها نبيّ من الله الا وصدّقه بعضها لان آيات الرسالة كآيات موسى وعيسى لا تذهب سدىً في الجميع واذا كان محمد وهو لم يأتِ بآية ما صدّقه وامن به سريعاً عدد عظيم من قريش ان لم نقل اكثرهم ولم يطل الحال حتى قبل دعواهُ اهل يثرب فكيف لو اجرى الله على يده آيات كآيات الانبياء المذكورين واذا كان القوم صدقوهُ من دون آيات فاي محل للقول انهُ لم يُرسَل بالآيات لئلا يكذِّب بها القوم فيُستأصلوا لانهم اذا كانوا قبلوا الدعوى بدون آياتٍ فكيف يكذبونها بالآيات فلو ان محمداً بعد افراغ المجهود منه بانذار القوم لم يصدّقهُ منهم احد بل اصرّ جميعهم على عدم تصديق دعواهُ الا ان يأتيهم بآياتٍ قاهرة كآيات موسى وعيسى ربما كان محلّ صغير للقول انهم لا يؤمنون ولا بالآيات ولكن المعلوم ان زوج محمد خديجة اعتبرتهُ نبيا من الله ورسولاً في بدءِ ادّعائهِ ذلك ولم يلبث ان آمن به علي ابن عمه وابو بكر وعثمان وعُمَر وهلمّ جرًّا ولم تعبر سنون قليلة حتى آمن به جميع اهل مكة

وأكثر الذين جعلوا الآيات شرطاً للايمان ؟! واقترحوها عليه آمنوا به[illegible]
والله العليم عالم ان القوم سيؤمن اكثرهم بمحمد بدون آية وعليه فلا خوف
على القوم من عدم الايمان بالآيات. وهل لله سبحانهُ ان يقول قولاً بحجيف
علمه ما سيكون تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً

"وقالوا لولا أُنزل عليه آيات من ربهِ قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين" (سورة العنكبوت آية ٤٩)

(التفسير) ملخصهُ ان القوم قالوا لمحمد انك تقول انه أُنزل اليك كتاب كما انزل الى موسى وعيسى وليس كذلك لان موسى اوتي تسع آيات علم بها لون الكتاب من عند الله وانت ما أُوتيتَ شيئًا منها ثم ان الله تعالى ارشد نبيهُ الى اجوبة هذه الشبهة منها قولهُ "انما الآيات عند الله" وليس من شرط الرسالة الآية المعجزة . . . فانا الساعة رسول واما الآية فالله ان اراد ينزلها وان لم يرد لا ينزلها ثم قولهُ "وانما انا نذير مبين" معناهُ ان الآية عند الله ينزلها او لا ينزلها لا تتعلق بي ما انا الّا نذير وليس لي عليه حكم بشيء (رازي مجلد ٦ وجه ٦٨١)

ويفسر البيضاوي لهذه الآية "وقالوا لولا انزل عليه آية من ربّه" مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى "قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشأ لست املكها فاتيكم بما تقترحونه" وانما انا نذير مبين ليس من شأني الّا الانذار وابانته (بيضاوي مجلد ٢ وجه ٢٣٦) وكذا تفسير الجلالين سوى انهُ يقول وفي قراءة آيات كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وانما انا نذير مبين منذر بالنار اهل المعصية (جزأ ثاني وجه ١٠٣)

(ملاحظة) لك من هذه الآية وغيرها من الائمة المذكورين ملاحظتان (الاولى) حذق القوم بطلبهم من محمد آيات تبرهن صحة دعواه بانزال كتابٍ اليه من الله كما برهن موسى وعيسى بالآيات على انزال الكتاب اليهم ومن لا يرى عدالة هذا الطلب والقول انما الآيات عند الله ليس هو جواباً لذلك السؤال وانظر ان العرب لم يروا في القرآن برهانًا لكونه من عند الله والّا لاستغنوا بذلك عن شهادة الآيات (الثانية) ان محمداً ليس هو رجل آيات انما هو فقط منذر بالنار اهل المعاصي. حسناً. وهذا يستطيعه غير الانبياء والمرسلين

من ذوى المحبة والغيرة والقول وليس من شرط الرسالة الآية المعجزة لا محل لهُ في هذا الصدد نعم ليس الآية شرط الرسالة في كل مُرسَل لان الله ارسل البعض بدون آية معجزة كارميا ويونان لكنهُ ما ارسل مشترعًا بدون آياتٍ قاهرة ومحمد ما جاءَ فقط مشترعاً بل ناسخًا للشرائع المثبتة بتلك الآيات فالمقام الذى ادّعاهُ يوجب عليهِ بالاحرى الاتيان بآياتٍ اكثر واعظم من آيات اولئك المشترعين

"أَوَلَم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يُتلَى عليهم" (سورة العنكبوت آية ٥٠)

(التفسير) يعنى ان كان انزال الآيات شرطًا فلا يشترط الا انزال آية وقد أُنزل وهو القرآن فانهُ معجزة ظاهرة باقية وقوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وهذا الان القرآن معجزة اتمّ من كل معجزة تقدمتها (رازى مجلد ٦ وجه ٦٨١) والبيضاوى يفسر الآية ان القرآن آية مغنية عمّا اقترحوهُ تدوم تلاوتهُ عليهم متحدين بهِ فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل (بيضاوى مجلد ٢ وجه ٢٣٦) وفى الجلالين اي القرآن فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذُكر من الآيات (جزء ثانى وجه ١٠٣)

(ملاحظة) ليس فى آية اولم يكفهم . . . بيان كون القرآن معجزة وان القوم فضلاً عن انهم لم يعتبروهُ معجزة لم يعتقدوا انزالهُ من عند الله اذ قالوا ان هذا الّا افك افتراهُ واعانهُ عليهِ قوم آخرون (انظر سورة الفرقان آية ٥) وكثيرون من امّة الاسلام يدحضون القول باعجازهِ وهاك ما ورد فى كتاب المواقف من قول القائلين باعجازهِ والقادحين بهِ

اما القائلون باعجاز القرآن فقد قالوا من وجوه اعجازهِ كونهُ الى الدرجة العالية من البلاغة التى لم يعهد مثلها فى تراكيب العرب

وهل رُتب البلاغة متناهية فيهِ قال اختلفوا فيهِ ثم قال (صاحب الكتاب) والحق ان الموجود منها متناهية لانها واقعة فى تلك الالفاظ الشريفة الدالة على المعاني الصحيحة ولا شك ان الموجود من تلك الالفاظ فى اللغات متناهٍ دون الممكن من مراتبها فانهُ غير متناهٍ وقيل اعجاز القرآن اخبارهُ عن الغيب نحو "وهم من بعد غلبهم سيَغلِبون فى بضع سنين"

اخبر عن غلبة الروم على الفرس فيما بين الثلاث الى التسعة وقد وقع كما اخبر به

وقيل وجه اعجازه عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطول والامتداد وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا" وقيل وجه اعجازه بالصرفة على معنى ان العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة لكن الله صرفهم عن معارضته واختلف في كيفية الصرف زعمت المعتزلة صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها وذلك بان صرف دواعيهم اليها مع كونهم مجبولين عليها . . . فهذا الصرف خارق للعادة فيكون معجزًا

وقال المرتضى من الشيعة بل صرّفهم بان سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة فلم يبق لهم قدرة عليها (انتهى ملخصا)

ملخص شبه القادحين في اعجازه

قالوا (اولاً) وجه الاعجاز ان يكون بيّناً لمن يستدل به عليه بحيث لا يلحقه ريب واختلافكم فيه اي في وجه الاعجاز انه ماذا دليل خفائه فكيف يستدل به على اعجازه (ثانيا) ما ذكرتم من الوجوه لا يصلح للاعجاز من ذلك البلاغة امّا البلاغة فلوجوه

(الوجه الاول) اذا نظرنا الى ابلغ خطبة للخطباء وابلغ قصيدة للشعراء وقطعنا النظر عن الوزن والنظم المخصوص ثم قسناهُ على اقصر سورة من القرآن وانتم تزعمون التحدّي بها وتتناولها قولهُ تعالى "فأتوا بسورة من مثله" لم نجد الفرق بينهما في البلاغة بيّنا بل ربما زعم ان الافصح معارضها الذى قيس اليها ولا بد في المعجز الذي يُستدل به على صدق المدّعي من ظهور التفاوت بينه وبين ما يقاس هو اليه الى حدّ تنتفي معهُ الريبة حتى يجزم بصدقه جزماً يقيناً

(الوجه الثاني) ان الصحابة اختلفوا في بعض القرآن حتى قال ابن مسعود بان الفاتحة والمعوّذتين لبست من القرآن مع انها اشهر سورة ولو كانت بلاغتها بلغت حد الاعجاز لتميزت به عن غير القرآن فلم يختلفوا في كونها منه

(الوجه الثالث) انهم كانوا عند جمع القرآن اذا اتى الواحد اليهم ولم يكن مشهوراً عندهم بالعدالة بالآية والآيتين لم يضعوها في المصحف الا ببينة او يمين والتقريب ما مرّ وهو انه لو كانت بلاغتها واصلة الى حدّ الاعجاز لعرفوها بذلك ولم يحتاجوا في وضعها في المصحف الى عدالة ولا الى بيّنة او يمين

(الوجه الرابع) لكل صناعةٍ مراتب في الكمال بعضها فوق بعض وليس لها حدٌّ معيّن تقف عنده ولا تتجاوزهُ ولا بد في كل زمانٍ مَن فائقٍ قد فاق ابناءَهُ بان وصل الى مرتبةٍ من تلك المراتب لم يصل اليها غيرهُ في عصرهِ وان امكن يفوقه شخص آخر في عصرٍ آخر فلعلّ محمداً كان افصح اهل عصرهِ فاتى بكلامٍ عجز عن مثله اهل زمانهِ ولو كان ذلك معجزًا لكان ما اتى بهِ كل من فاق اقرانهُ في صناعةٍ من الصناعات في عصرٍ من الأعصار معجزًا وهو ضروري البطلان

واما عدم الاختلاف والتناقض فيه مع طولهِ ففي هذه القضية وجوه نقتصر على وجهين منها (الاول) ان فيه تناقضاً من ذلك ان فيه كلاماً ملتبساً اذ قال "ما فرّطنا في الكتاب من شيءٍ" وقال ولا رطب ولا يابس الاّ في كتاب مبين ولا شك انه لا يشتمل القرآن على اكثر العلوم من المسائل الاصوليّة والطبيعية والرياضية والطبية ولا على الحوادث اليومية فلا يكون هذا مطابق للواقع

ومن ذلك ايضاً ان فيه اختلافاً بالصحة وعدمها اذ فيه اللحن نحو ان هذانِ لساحرانِ قال عثمان حين عُرِض عليه المصحف ان فيه لحنًا وستقيمه العرب بالسنتهم ومن ذلك التكرار اللفظي فان فيه تكرارًا لفظيّاً بلا فائدة كما في سورة الرحمان. وفيه تكرار معنوي كقصة موسى وعيسى كذلك فيه ايضاح الواضح نحو تلك عشرةٌ كاملة واى خللٍ اعظم من الكلام غير المفيد انهُ نفى عنه الاختلاف حيث قال "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا" في معرض الاحتجاج بعدم الاختلاف فيه على كونهِ من عند الله ثم انّا نجد فيه اختلافًا كثيرًا فلا يكون هذا الاحتجاج صحيحاً وانما قلنا بكثرة الاختلاف فيه لأنه اى الاختلاف اما في اللفظ او في المعنى. والاول امّا بتبديل اللفظ او الترتيب او الزيادة او النقصان والكل موجودٌ فيه اما بتبديل اللفظ فمثل كالصوف المنفوش بدل كالعهن ومثل فامضوا الى ذكر الله بدل فاسعوا ومثل كَكانت كالحجارة بدل فهي كالحجارة . . . واما تبديل التركيب فنحو ضربت عليهم المسكنة والذلّة بدل الذلة والمسكنة ونحو جاءت سكرة الحق بالموت بدل الموت بالحق واما الزيادة والنقصان فنحو النبي اولى من المؤمنين من انفسهم وازواجهُ امهاتهم وهو ابٌ لهم ففي هذه القراءة زيادة وفي المشهورة نقصان وكذا الحال في قولهِ "لهُ تسعة وتسعون نعجة انثى" واما الاختلاف في المعنى فنحو ربّنا باعِد بين اسفارنا بصيغة الأمر ونداءِ الرب وربّنا باعد بين اسفارنا بصيغة الماضي ورفع الرب والاول دعاء والثاني خبر ونحو هل يستطيع ربّك. بالغيبة

وضم الباء وهل تستطيع ربَّك بالخطاب وفتح الباء والاول استخبارٌ عن حال الرب والثاني عن حال عسى

(الوجه الثاني) انهُ توجد عدم الاختلاف في كثيرٍ من الخطب والقصائد الطوال بحيث لو تتبعها ابلغ البلغاء لم يعثر فيها على سقطةٍ فضلاً عن التناقض والاختلاف ويظهر ذلك كل الظهور في مقدار اقصر سورة تحدّى بها كما هو الظاهر من قوله "فاتوا بسورةٍ من مثلهِ" فان هذا المقدار من نظمهم ونثرهم خالٍ من الاختلاف بلا شبهة فلا يكون عدم الاختلاف موجباً للاعجاز

واما القول بالصرفة فعليه يكون المعجز هو الصرف لا القرآن الا ترى انه لو قال انا اقوم وانتم لا تقدرون على القيام وكان كذلك لم يكن قيامهُ معجزاً بل عجزهم عن القيام فهذه المقالة خارقة لاجماع المسلمين السابقين على ان القرآن معجزة لرسول الله دالّةٌ على صدقه

خلاصة الجواب عن الشبهة القادحة

قولهم اختلافكم في اعجازهِ دليل الخفاء فكيف يستدل به على اعجازهِ قلنا الاختلاف والخفاء وان وقع في آحاد الوجوه فلا اختلاف بيننا ولا خفاء في انهُ اي مجموع القرآن بما فيه من البلاغة والنظم الغريب والاخبار عن الغيب . . . واشتماله على غير ذلك مما ذكر في وجه الاعجاز معجز وانما وقع الخلاف في وجههِ لاختلاف الانظار ومبلغ اصحابها من العلم

والجواب عن الثانية ان الآحاد لا يعارض القاطع يريد ان اختلاف الصحابة في بعض سور القرآن مرويّ بالآحاد المفيدة للظن ومجموع القرآن منقول بالتواتر المفيد لليقين الذي يضمحلّ الظن في مقابلته فتلك الآحاد مما لا يلتفت اليه ثم ان سلّمنا اختلافهم مما ذُكر قلنا انهم لم يختلفوا في نزوله على محمد صلّى الله عليه وسلم ولا في بلوغهِ في البلاغة حد الاعجاز بل في مجرّد كونه من القرآن وذلك لا يضرنا فيما نحن بصددهِ

والجواب عن الثالثة ان اختلافهم عند جمع القرآن فيما ياتي به الواحد من آيةٍ او آيتين انما هو في موضعه في القرآن وفي التقديم والتاخير فيما بينه وبين الآيات الأُخر لا في كونه من القرآن وذلك لان القرآن كلّهُ منقول بالتواتر عنه عليه السلام فما اتى به الواحد كان متيقناً كونه من القرآن وطلب البينة والتحليف انما كان لاجل الترتيب فلا اشكال واما قوله "ان هذانِ لساحرانِ" فقيل غلط من الكاتب ولم يقرأ بهِ فان ابي عمرو قرأ ان هذين وزعم ان

كاتب المصحف قد غلط في كتابته بالالف وقول عثمان ان فيه لحنًا اي في الكتابة في خط المصحف واما قوله تلك عشرةٌ كاملة فدفعٌ لتوهم غير المقصود ولو بوجهٍ بعيد جدًّا واما الاختلاف اللفظي او المعنوي الواقع في المنقول المتواتر لا يكون قادحًا في اعجازهِ بل هو ايضًا من صفات كماله وان المراد بالاختلاف المعنوي عن القرآن هو الاختلاف في البلاغة فهو مع طوله خالٍ من هذا الاختلاف ثم ان قياس اقصر سورة الى طول خطبةٍ او قصيدة جورٌ وعدولٌ عن سواء السبيل لان التحدّي بها انما يكون بما هو على مقدارها المشتمل على مثل بلاغتها لا بما هو اضعافها المشتملة على مثلها كما لا يخفى على ذي مسكةٍ من الانصاف وايضًا فيكفينا في اثبات النبوة كون القرآن بجملته او بسورةٍ الطوال معجزًا وجه ٥٥٨ الى ٥٦٣

ملاحظة

في ما تقدم من دفع تلك الشبه

لا يخفى النبيه المتحري كون هذا الدفع لتلك الشبه غير وافٍ بالغرض على ان ذلك كل ما هو في حيّز الامكان لا جرم ان المدافعين اجهدوا النفس بايجاد مخرج لكل من تلك الشُبَه فلم يجدوا الّا ما ذُكر وما كلف الله نفسًا الّا وسعها فنقول اذًا على فرض كان الاتفاق واقعًا من حيث نهاية القرآن في البلاغة لم يقع ان اعجازَهُ في منتهى بلاغته كما قد رايت في ما مرّ الا ترى انهم اختلفوا في دليل اعجازهِ فقيل إعجازُهُ كونهُ في الدرجة العالية في البلاغة وقيل اعجازُهُ اخبارهُ عن الغيب وقيل هو عدم اختلافهِ وقيل هو الصرفة عن معارضتهِ على انهم اختلفوا في هل رتب البلاغة متناهية فيهِ فالاختلاف واقع في كلا الامرين ثم انه لا يُرَى في قياس المشتبه ابلغ خطبة او قصيدة الى اقصر سورة جورًا وعدولًا عن سواء السبيل والقرآن يقول "فاتوا بسورةٍ من مثلهِ" بدون التفات الى المعادلة او التفاوت من حيث الطول والقصر فعليه إذا امكن القوم اتيان خطبةٍ او قصيدةٍ تساوي في البلاغة اقصر سورةٍ يكونوا اتوا بمثله ومن المعلوم ان الطويل من الخطبة او القصيدة اوفر عرضةً للضعف والسقط من القصير فيقال على سبيل التعجب هذه القصيدة مع طولها هي خاليةٌ من الركاكة والخطاء محالاً يُقال عن البيتين او الثلاث الخالين من ذلك وكأن مراد صاحب لشبه بقياسه هذا هو ان الكلام الاقصر ايسر جعلهُ في غاية البلاغة من الاطول

وان اقصر سورة في القرآن الايسر جعلها في اسمى نقطة البلاغة . يوجد من خطب العرب وقصائدهم ما يعارضها او يفوقها في ذلك فاين اذًا اعجازهُ على ان صاحب الشبهة لم يقل اذا نظرنا الى اطول خطبة او قصيدة بل الى ابلغ فغايتهُ البلاغة لا الطول فكشف استجاز المجاوب مغالطتهُ

اما قوله في جوابه عن الشُبهة الثانية الذى هو ثم ان سلّمنا اختلافهم فيما ذُكِر (اى في امر الفاتحة والمعوذتين) قلنا انهم لم يختلفوا في نزولهِ (القرآن) على محمد ليس هو بحجة ولا دفع لانهم اذا كانوا اختلفوا في امر سورة الفاتحة والمعوذتين بان قال بعضهم ليست من القرآن يضعف القول انهم لم يختلفوا في نزول القرآن على محمد اذا اختلفوا في نزول بعضهِ عليه فكان الاحرى بصاحب الدفع ان يقول ان سلّمنا باختلافهم في نزول بعض القرآن على محمد لم يختلفوا في نزول باقي القرآن عليه عوض قولهِ لم يختلفوا في نزولهِ على محمد فعليه بقيت الشبه في اعجاز القرآن غير مدفوعةٍ ولا مدحوضة

اما جوابهُ عن الشُبهة الثالثة هو اوفر ضعفًا ووهنًا لانهُ على فرض ان الاختلاف الواقع عند جمع القرآن فيما ياتي به الواحد من الآية والآيتين انما هو من حيث موضعها في القرآن لا في كونها منه قلنا اذا كان موضع تلك الآية في القرآن مجهولاً عند الصحابة لا يبعد ان يكون مجهولاً عندهم كونها منه لانه اذا كانت معلومةً انها منه بالنقل المتواتر فلماذا لا يكون معلومًا بالنقل المتواتر موضعها فيه كما في امر الكتاب (التوراة والانجيل) المعلوم بالتواتر انزال كامل اجزائهِ وترتيب فصولهِ وآياتهِ على ان العارفين يؤكدون ان هذا الاختلاف الباعث الى طلب البيّنة من الآتي بتلك الآية او الآيتين وتحليفهِ انما كان على كونها من القرآن وللاثبات بوجهٍ شرعي كونها منه لان القوم على ما هو مؤكد كانوا يأتون بتلك الآيات مكتوبةً على حجارةٍ او عظام او سعوف النخل ويعرضونها على جامعيّ القرآن من الصحابة مدّعين انها أُنزلت على النبي فيطالبونهم بالبيّنة على صحة دعواهم واذا عدموا البيّنة حلّفوهم اليمين فلو كان جامعو القرآن عارفين من ذي قبل بتلك الآيات انها من القرآن لما كان داعي لابرازها على تلك المواد بل كان الواحد من العرب يقول اني اذكر او اؤكّد ان آية كذا هي في موضع كذا من القرآن وقد سمعت الرسول يقرأها في سورة كذا منه ومثل هذه الجملة على ظني لا وجود لها في قصة جمع القرآن وعدم وجودها مع اعتبار الملاحظات المحقّة اعلاه تبيّن بطلان الدعوى

ان البيّنة واليمين كانا لاثبات موضع تلك الآيات في القرآن لا في كونها منهُ

اما قولهُ بخصوص اللحن في كلمة ان هذانِ لساحرانِ قيل غلط من الكاتب وان قول عثمان ان في القرآن لحناً يعني في الكتابة في خط المصحف هو لقول عديم الاعتبار عند اهل البصائرِ ولفظة قيل لا يعوّل عليها لانهُ لو كان مراد عثمان في اللحن انما هو غلط من كاتب القرآن لبادر الى اصلاحهِ ولما ابقى اللحن على حالهِ في كتاب يعتبرهُ كتاب الله فقولهُ انّ في القرآن لحناً وستقيمهُ العرب بالسنتهم وتركُهُ ذلك اللحن على ما هو دليل ان عثمان اعتبر ذلك اللحن اصلياً في القرآن ("ان في القرآن لحنًا") فعليهِ تبقى الشبهة في مركزها غير متزعزعة وقولهُ واما قولهُ تلك عشرة كاملة فدفع لتوهم غير المقصود ولو بوجهٍ بعيدٍ جدًّا هو اقرار بان الشبهة في محلها وليس من سبيل الى دفعها لان ايضاح الواضح سخافة في الكلام فلا داعي لهُ ولا لزوم لأن مَن يتوهم العشرة تسعة الاّ قاصر العقل والابلهُ ولأنّ المدافع لا يجهل ذلك قال ولو بوجهٍ بعيد جدًّا وربما يقول بعض القارئين كان الأكيس للمدافع لو لم يتعرَّض البتة لهذه الشبهة ولكن رأى انهُ كمناظر ومدافع عن القرآن عارٌ عليهِ الاعراض عن شبهةٍ من الشُبه القادحة في اعجازهِ ولمّا لم يرى بدّاً من دفعٍ لها لجأ الى قول ما قال وهو على ما أرى على غير ثقةٍ بهِ

ثم ما يغرب جداً جَعْلُهُ الاختلاف اللفظي والمعنوي في القرآن غير قادح في اعجازهِ بل هو ايضاً من صفات كمالهِ لوقوعهِ في المنقول المتواتر فليّم وما دليل ذلك فاذا كان مرادهُ بذلك ان وجود هذا الاختلاف في القرآن دليل عدم التغيير فيهِ من حين جمعهُ عثمان فنصادق لَهُ على ذلك على ان هذا ليس بشيءٍ من الدليل على كمالهِ فاذا كان هذا الاختلاف فيهِ قبل ان جمع عثمان نسخهُ لاجل تنقيحها وحين جمعهُ لم يمسّهُ باصلاحٍ مّا بل ابقاهُ على علاّتهِ كما في امر ان هذانِ لساحران فيكون هذا الاختلاف فيهِ اصليّاً وهو ينكد على دعوى كمالهِ وعلى القول "لو كان من عند غير الله لوجدوا فيهِ اختلافًا كثيرًا" واغرب من ذلك انهُ يعتبر الاختلاف المنفي عن القرآن هو الاختلاف في البلاغة كأنهُ لمّا لم يستطع نكران ما فيهِ من الاختلاف اللفظي والمعنوي خلافاً لمنطوق الآية المذكورة لجاءَ الى القول ان الاختلاف فيهِ من حيث البلاغة. حَسَن. فنقول اذا كان على فرض كما يزعم ان لااختلاف في القرآن من حيث

البلاغة لا من حيث اللفظ والمعنى وعلى فرض ان عدم اختلافهِ في البلاغة دليل اعجازهِ يكون معجزاً من حيث البلاغة لا من حيث الالفاظ والمعاني وهو من عند الله من حيث البلاغة ومن عند غير الله من حيث الالفاظ والمعاني فهل ذلك اعتقاد المسلمين على ان عدم وجود اختلاف في بلاغة كتاب طويلاً كان او قصيرًا ليس هو دليلاً على ان ذلك الكتاب من عند الله بل على حصول منشئهِ على موهبة البلاغة من الله. من المعلوم ان جودة العقل وقوة النباهة وسرعة الخاطر وحدة الذاكرة هي مواهب من عند الله فاذا رأينا انساناً على غاية الفصاحة ومنتهى البلاغة نقول سبحان الواهب المُعطي وقط لا يخطر لنا ان كلماته او كتاباتهِ البليغة الخالية من الركاكة والخطا انها منزلة من الله وان قائلها نبيٌّ الله وعليه اذا كان القرآن على فرض غايةً في البلاغة وخالياً من الاختلاف فيها نقول ما ذلك الّا لما خُصَّ قائلهُ من موهبة الفصاحة التي هي من مواهب الله لخلقه فلا شيٌّ في ذلك من دليل النبوة لان موهبة الفصاحة قد يستعملها ذووها في الكلام المُنزَل وغير المنزل ويمكن خلوهما من الاختلاف في البلاغة كما في كثير من خطب واشعار اليونان والعرب

وهنا لدى المسلم اشكال خطير لانه ان قال القرآن معجز من حيث اللفظ والمعنى قلنا لهُ وجود الاختلاف فيه ابطل دعوى اعجازهِ من هذا القبيل وان قال بل اعجازهُ في بلاغتهِ قلنا قد ظهر بطلان ذلك فيما مرّ من الكلام هذا اذا كان القرآن كما يدعون في غاية الفصاحة ومنتهى البلاغة على ان هذه الدعوى قد سقطت فيما تقدم من شُبه القادحين في اعجازهِ وعداه عن ذلك فان كثيرين من العارفين باحكام اللغة ينكرون عليه ذلك بادلةٍ وبراهين لا تدحض

تذييل

لقد اتضح من الآيات الموردة في هذا الباب مع تأْويلها ان محمداً ما اتى بآيةٍ معجزة وان عدم ارسالهِ بالآيات المعجزات على طرز الرسل المتقدمين لم يكن الّا اشفاقًا على العرب من عذاب الاستئصال اذا لم يُؤمنوا بعد رؤْيتهم الرسول يعمل تلك الآيات فينتج من ذلك عدم مؤاخذة القوم بعدم تصديقهم دعوى محمد بالرسالة بدون آيةٍ تبرهن صحة دعواه لان المؤاخذة على موجب الآية واقعة بعدم تصديق القوم الدعوى المبرهنة بالآية المعجزة اذاً لا مؤاخذة لان لا

معجزة واذا قلت ان القرآن معجزة بالغة قاهرة مثل فلق البحر واحياء الميت قلنا اذا كان القرآن على قولك معجزة قاهرة بمثابة آيات موسى وعيسى وجب مؤاخذة القوم الذين سمعوه ولم يؤمنوا به مؤاخذةً توجب استئصالهم لانه اذا وجب استئصال الاقوام الاولين لعدم ايمانهم برسل الله اليهم بعد رؤيتهم الآيات تعمل منهم وكان القرآن آية بمثابة تلك او اتمّ منها (راجع تفسير الرازي وجه ١٢) وجب بالاولى بمقتضى هذا القانون والسنّة استئصال القوم الذين لم يصدقوا دعوى محمد بالنبوة والرسالة ويؤمنوا لانهم سمعوا القرآن الذي هو معجزة قاهرة كتلك الآيات لتلك الاقوام ولمّا لم يُستأصَلوا دَلّ عدم استئصالهم على ان القرآن ليس بآية معجزة كما يدّعون وفقاً للقول "وما منعنا ان نرسل بالآيات الاّ ان كذّب بها الاولون" فعلى الوجه الايجابيّ ان القرآن آيةٌ معجزة تُهدر الآية "وما منعنا . . ." وعلى الوجه السلبيّ ان القرآن ليس بآيةٍ تسقط عن القوم المؤاخذة. بعدم تصديقهم محمداً وهذا مُنْكَر فاني للمسلم العاقل الخروج من هذه الدائرة والمناص من هذا القفص على انه قد اتضح لدينا جليّاً مما تقدم في هذا الباب ان القرآن بكل الوجوه ليس بآيةٍ معجزة كما تدّعون

واما ما رُوي في الحديث ان محمدًا عمل عدة آيات مثل نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل لاشباع جمٍّ غفير فهذه الروايات بضاعة كاسدة عند ذوى النبالة من المسلمين لِما انها تنافي القرآن كل المنافاة الذي يصرّح بعدم ارسال محمد بالآيات وكون القرآن غنيّاً عنها ولو جرت على يدَي محمد آيةٌ واحدةٌ لذُكرت في القرآن ولمّا قال القرآن ما قال من الآيات العديدة المبينة ان محمّداً ما أُرسل بالآيات وانه لم يعمل آيةً واحدة اجابةً لسائليهِ آيةً ولما كان الحديث لا يقاس بالقرآن كان المعوّل على القرآن عند وقوع الخلاف بينهما وكلّ لبيب يَرَى انهُ لم يكن حسبان القرآن معجزة مغنية عما سواها من المعجزات الاّ لان لا معجزة عندهم لمحمد سواهُ

الباب الثاني

في الآيات المبينة كون محمد لم يُرسَل مجبرًا ومكرهًا للناس على الايمان

"لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" (سورة البقرة آية ٢٥٧)

(التفسير) مُلخص التفسير قال ان في تأويل هذه الآية وجوهًا (احدها) وهو قول ابي مسلم والقفّال انهُ تعالى ما بنى امر الايمان على الاجبار والقسر وانما بناهُ على التمكن والاختيار وان القسر والاجبار مما لا يجوز في دار الدنيا. ونظيرها قوله تعالى "فمن شاءَ فليؤمن ومن شاءَ فليكفر" وقوله في سورة أخرى "ولو شاءَ ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" اذاً الاكراه والالجاء الى الايمان غير جائز لانه ينافي التكليف (الثاني) هو ان الاكراه ان يقول المسلم للكافر ان آمنت والاّ قتلتك فقال تعالى "لا اكراه في الدين" (الثالث) لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرَهًا لانهُ اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامهُ فليس بمُكرَه ومعناه لا تنسبوهم الى الاكراه (الرازي مجلد ١ وجه ٤٧٢ و ٤٧٣)

وتفسير الآية في البيضاوي اذاً الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلاً لا يُرى فيه خيرٌ يحملهُ عليه . . . وقيل اخبار بمعنى النهي اى لا تكرهوا في الدين وهو اما عام (اى على الجاهلية واهل الكتاب) منسوخ بقولهِ جاهد الكفار والمنافقين او خاص باهل الكتاب (اليهود والنصارى) لما روي ان انصاريًا كان

لهُ ابنان تنصّرا قبل البعث (اى قبل بعث محمّد نبيًّا) فألزمهما ابوهما وقال واللّه لا أدعكما حتى تسلما فاختصما الى رسول اللّه فقال الانصاري يا رسول اللّه ايدخل بعض النار وانا انظر اليهِ فنزلت الآية فخلاهما (بيضاوي مجلد اوجه ١٢٦)

وفى الجلالين قد ظهر بالآيات البينات ان الايمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان لهُ من الانصار اولاد اراد ان يكرههم على الاسلام (جزء اول وجه ٤٢)

(ملاحظة) قد رأينا فى تفسير هذه الآية من الامامين الرازى والبيضاوي ثلاثة امورٍ جديرة بالاعتبار

(الامر الاول) ان اللّه تعالى ما بَنَى امر الايمان على الاجبار والقسر (الامر الثانى) ان الأكراه والالجاء الى الايمان غير جائز لانهُ ينافي التكليف (الامر الثالث) قيل ان الآية إخبارٌ بمعنى النهي اى لا تكرهوا فاقول اذا كان تعالى ما بنى امر الايمان على الاجبار والقسر يكون الاجبار والقسر على الايمان منافياً لما بَنَى اللّه. واذا كان الأكراه والالجاء الى الايمان غير جائز فمن يفعلهُ يجوّز ما ليس بجائزٍ واذا كانت الآية اخباراً بمعنى النهى عن الأكراه فيكون ذلك الأكراه اما فعل قبل النهى او كان فى النية والعزم ليفعل عند سنوح الفرصة فنُهى عنهُ بها وعليهِ فان الآية "لا اكراه فى الدين" نهيٌ مطلق عن الاكراه وهو عام لا خاص كما يستدل ايضًا من الامرين الاول والثانى اعلاهُ واما قول الرازى لا تقولوا لمن دخل فى الدين بعد الحرب انهُ دخل مكرهًا لانه اذا رضى بعد الحرب وصح اسلامهُ فليس بمكرهٍ . . . فهو غير مقبول من وجه انهُ يندر ان يسلم شخص بعد الحرب طائعًا مختارًا بل الغالب ان الداخلين فى دين الاسلام عقيب انغلابهم فى الحرب وتضعضع احوالهم من غزوات المسلمين وفتكهم هم مكرهون او مضطرون الى ذلك فكيف جاز لهُ اطلاق عدم الاكراه على مثلهم. أنسي ان الجهاد فى غزو الجاهلية واهل الكتاب انما كان على موجب القرآن ليكون الدين كله للّه كما يقول "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين للّه" (سورة البقرة اية ١٨٩)

"ليس عليك هداهم ولكن اللّه يهدى من يشاءُ وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم وما تنفقون الّا ابتغاء وجه

اللّهِ وما تنفقوا من خيرٍ يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون"
(سورةِ البقرة آية ٢٧٤)

(التفسير) فى تأويل هذه الآية ايات ومسائِل خلاصتها ان بعض اصحاب محمد ابوا التصدّق على سائِليهم من اقاربهم المشركين فاستشاروهُ فى ذلك فنزلت الآية فامر محمد بالتصدّق عليهم ومنها ان محمداً ما كان يتصدّق على المشركين حتى نزلت الآية فتصدق عليهم والمعنى على جميع الروايات ليس عليك هُدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا فى الدين فتصدق عليهم لوجهِ الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وقال "افانت تكرِهُ الناس حتى يكونوا مؤمنين" فاعلمهُ الله تعالى انهُ بعثهُ بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنهِ وسراجاً منيراً ومبيّناً للدلائِل فامّا كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فسواءٌ اهتدوا أَو لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرّك وصدقتك عنهم ومن وجهٍ آخر ليس عليك ان تلجيهم الى الاهتداءِ على إيمانهم بواسطة ان توقف صدقتك عنهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان على سبيل التطوّع والاختيار (رازى مجلد ١ وجه ٥٢٢ و ٥٢٣)

وتفسير البيضاوى لهذه الآية هو لا يجب عليك ان تجعل الناس مهتدين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائِح (مجلد ١ وجه ١٨٤)

وتاويلها فى الجلالين هو قال ان هذه الآية نزلت بسبب منع محمد صلى الله عليهِ وسلم من التصدق على المشركين ليُسلموا فالمراد منها ليس عليك ادخال الناس فى الاسلام انما عليك البلاغ وهداية الناس على الله وثواب ما تنفقون من المال صدقة عائِدٌ الى انفسكم وما تنفقون الّا ابتغاءَ وجه الله اى ثوابهُ لا غيرهُ من اغراض الدنيا خبرٌ بمعنى النهى وما تنفقون من خيرٍ تجازون عليه (جزء اوّل وجه ٤٩ و ٥٠)

(ملاحظة) ما احلى واجمل مفاد هذه الآية حسب تفسير الايمّة المذكورين فيا ذا البصيرةِ والإخلاص قف وانظر اذا كان لا يجب منع التصدّق على المشرك لاجل ان يُسلِم او لِئلّا يفضى ذلك لِلجاءَ لهُ الى الدين بسبب عوزهِ فكم بالحرى لا يجب غزوهُ ومحاربتهُ لهذه الغاية لانهُ اذا كان منع المشرك من الصدقة قد يكون لهُ لِلجاءَ الى الدين فكم بالحرى القهر فى الحرب والسبي

والنهب وخوف القتل بعد الاستسلام (كما فى امر يهود قُريظة الذين بعد ان استسلموا الى محمد امر بهم فضربت رقابهم) يكون اكبر سبب لالجاء المقهور المسبى الخائف الى الدخول فى دين الغالب وعليه كيف لاق بالامام الرازى القول لا تقولوا لمن دخل فى الدين بعد الحرب انهُ دَخَل مُكرَهًا اما كان الاجدر به الحكم بعدم جواز غزو القبائل ومحاربتها لاجل ان يدخلوا فى دين الاسلام وفقًا لهذه الآية وما تقدمها واذا كان من مفاد الآية هو انما عليك البلاغ وعلى الله الهداية. وانها خبر بمعنى النهى آمّا يكون محمد منهيًّا عن اتخاذ اية وسيلة كانت لالجاء الناس الى الدين لما ان الايمان الحاصل من قبيل الالجاء لا ينفع بل الايمان النافع هو ما كان على سبيل التطوع والاختيار واذا كانت هذه حقيقةً ربانيّة فانىّ التوفيق بينها وبين القول " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله"

"وقل للذين اوتوا الكتاب والاميّين أاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولّوا فانما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد" (آل عمران مدنيّة آية ١٩)

(التفسير) ان ليس للنبى الّا ابلاغ الادلّة واظهار الحجة فاذا بلّغ ما جاء بهِ فقد ادّى ما عليهِ وليس عليهِ قبولهم والله بصير بالعباد يفيد الوعد والوعيد (رازى مجلد ١ وجه ٦٣٢)

وتفسير البيضاوى لها هو ان اسلموا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولّوا فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك اذ ما عليك الّا ان تبلّغ وقد بلّغت (مجلد اول وجه ١٩٨)

والجلالين قل لليهود والنصارى ومشركى العرب أأسلمتم اى اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا من الضلال وان تولّوا عن الاسلام فانما عليك التبليغ للرسالة والله بصيرٌ بالعباد فيجازيهم باعمالهم (جزء اول وجه ٥٦)

(ملاحظة) قد أجْلَت هذه الآية عن انهُ ليس لمحمد الّا تبليغ الناس الرسالة التى اتى بها بالدليل والحجة فهذه مع الجزء الآخر من الآية الذى هو والله بصيرٌ بالعباد اى هو يجازيهم على اعمالهم تفيد افادةً قطعية انهُ ليس

لمحمد اتخاذ الحرب بتّة والتضييق على الناس كوسيلة ادخالهم فى دينهِ او مقاصّتهم على ابائهم الاسلام وفقًا لما جاءَ فى آية أُخرى "عليك البلاغ وعلينا الحساب"

فاذا كان محمد ادّى ما عليهِ اذ ما عليه الاّ ان يبلّغ وقد بلّغ فلم يبقَ عليه شيٌ آخر كانسان عليه دين الف غرش فاذا ادّى الالف غرش لا يبقى عليه شيٌ من الدين واذا كان الله حسب قوله ما ارسله الاّ بشيرًا نذيرًا وما عليه الاّ تأدية ذلك للناس فاذا عمل ذلك ماذا يبقي عليه لا شيٌ فلِمَ لم يقف محمد على هذا الحدّ

"وكذّب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإٍ مستقر وسوف تعلمون" (الانعام آية ٦٦)

(التفسير) قل لست عليكم بوكيل اى لستُ عليكم محافظًا حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا مُنذِر والله هو المجازي لكم باعمالكم . قال ابن عباس والمفسرون نُسِخَت هذه الآية بآية القتال والامام ينكر ذلك قائلاً ان هذا بعيد مفسرًا كلمة لكل نبإٍ مستقرٌ بانهُ يجوز ان يكون المراد من ذلك عذاب الآخرة ويجوز ان يكون المراد منه استيلاء المسلمين على الكفار بالحرب والقتال والقهر فى الدنيا (رازى مجلد رابع وجه ٩٢)

(ملاحظة) وهذه لك آية رابعة تبين ان محمداً ليس بوكيل على مكذبيه حتى يجازيهم على تكذيبهم اياه وهو يبين بجلاء ما عليه وما لله من جهتهم اى هو منذر والله مجازي المكذبين بآياته   واما دعوى ابن عباس وغيره من المفسرين بان هذه الآية نُسِخت بآية القتال وان الامام ينكر ذلك فنرى ان الفريقين مصيبان كل منهم فى جهة   اما اصابة الفريق الاول فان آيات القتال عزلت آيات السلم هذه واتّخَذَت مكانها فلم يبقَ لها من نفوذ البتة اى لم يعد يُعمَل الاّ بآيات القتال ففعلاً آيات القتال ابطلت نفوذ آيات السلم فاذا قالوا نَسَخَتها او ابطلت فعلها لا فرق   واصابة الفريق الثانى فى انكار هذا النسخ هو لما يرى من رسوخ آيات السلم ومتانتها غير القابلة النقض والهدم من نحو ان محمدًا ما ارسل الاّ للتبشير والانذار والبلاغ ولو أُرسل

لغير ذلك كالحرب والقتال لما كانت الآيات على هذا المنوال وان الآيات هذه اخبارٌ بمعنى النهي عن الاكراه والاجبار فكيف يبين وظيفة محمد لمبشرٍ ونذير وينهاه عن وسائل الاكراه والالجاء الى الدين مبيناً عدم صلاحيَّته ذلك كما قد رايت فيما مرَّ ثم يعدل الى القول بصلاحيتهِ والامر بهِ وذلك لعمرك لا يجدر بالمخلوق العاقل فكم بالحري بالقدوس الكامل تعالى الله وجلّ عن مثل ذلك

"قد جاءكم بصائرُ من ربكم فمن ابصرَ فلنفسهِ ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ" (الانعام آية ١٠٤)

(التفسير) ندع رقم تفسير قد جاءكم بصائر من ربكم ونذكر ملخص تفسير باقي الآية قال من أبصر الحق وآمن فلنفسهِ ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضرَّ بالعمى "وما انا عليكم بحفيظ" احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم دخول الغرض بهذهِ البصائر ان مَنْ ينتفع بها اختياراً أستحق بها الثواب لا ان يُحمَل عليها او يلجاء اليها لان ذلك يبطل هذا الغَرض. فمن ابصرَ فلنفسه ومن عمى فعليها قال وفيه ابطال قول المجبرة في المخلوق قال المفسرون ان معناه لا آخذكم بالايمان اخذ الحفيظ عليكم او الوكيل قالوا وانما هذا كان قبل الامر بالقتال فلما أُمر بالقتال صار حفيظًا عليهم. ومنهم من يقول آية القتال ناسخة لهذه الآية وهذا بعيد فكان هؤلاءِ المفسرون مشغوفين بتكثير النسخ من غير حاجة اليه والحق ما تقررهُ أصحاب اصول الفقه ان الاصل عدم النسخ فوجب السعى فى تقليله بقدر الامكان (رازى مجلد ٣ وجه ١٧٦)

(ملاحظة) وهذه لك آية خامسة تبين عدم صلاحية الالجاء الى الدين قلنا من تفسير هذه الآية ثلاثة امورٍ ذات شان

(الاول) ان ما على محمد حفظ اعمال المشركين ومجازاتهم عليها

(الثانى) ان الالجاء الى الدين يبطل منه غرض الثواب

(الثالث) تخويل الله الانسان مطلق الحرية فى امر الدين والعبادة بحيث يستحق منه العقاب ان عصىَ والثواب ان اطاع واما ان ذلك منسوخ بآيات القتال فهو لزعم باطل من وجه ان الاكراه الى الدين غير جائز فى الشرع

لمنافاته التكليف وكونه يبطل الغرض من الدين الذى هو الثواب ولذلك قال لا اكراه فى الدين غير ان للقال (واخرناه) عكس ذلك من وجه ان آيات القتال ابطلت العمل بآيات السلم والاكراه فى الدين قام مقام النهى الصريح عنه والقائل ما انا عليكم بحفيظ اصبح عليهم حفيظاً وعملهُ بمجازاة الناس ذهب بقوله هذا ادراج الرياح وهنا نقول اذا كان محمد لجاة الى وسائل الأكراه والالجاء الى الدين فهو بذلك يبطل غرض الدين من خصوص المُكرَه السوء اى تعديمهُ الثواب واذا كان محمد كما يزعمون أُرسل رحمةً للعالمين فكيف يكون كذلك وهو يعدم الناس ثواب الله الذى هو غرض الدين باجبارهم والجائهم الى الدخول ... فيما سلكه ايها المسلم الى التوفيق بين الرايين والجمع بين الضدين. واما للشيخ على الامام دعواه عن دعوى هذا النسخ . وهذا بعيد. كأنهُ رأى فى هذه الآيات ما اراه القيصر وهو استحاله نسخها لما انها اخبارٌ بمعنى النهى عن العناد وبطل الاكراه والالجاء غير النافع والمبطّل غرض الدين والمنافى لحرية البشر الممنوحة من لدنه تعالى الانسان. غير انهُ لم يبين لنا ما هو يقصد وما مرادهُ بقوله بل ان الاصل عدم النسخ فهل مراده عدم النسخ فى هذا الامر وان كان هذا مرادهُ فلمن يذهب بآيات القتال والاكراه وكيف يوفق بين النسخ وعدمه مهما جهد عقل المعتقد

"ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما انت عليهم بوكيل" (الانعام آية ١٠٧)

(المفسرون) يدعون بان قول الله "ولو شاء الله ما اشركوا" يدل على تخصيص قوله دين يشاء ... والحلم انه تعالى ما شاء من ان لا قدرة لاحد (سواه) على ازالة الكفر منهم جنس الكلام ما يحمل معهُ بصير الرسول عليه السلام وذلك انهُ تعالى بين له قدر ما جعل الله قدر انهُ تعالى ما جعلهُ عليهم حفيظاً ولا وكيلاً على سبيل المنع لهم وما فوّض اليه البلاغ بالامر والنهى فى العلم والعمل وفى السبب بذكر الدلائل او يشهد عليها فان انقادوا للقبول فنفعهُ عائدٌ اليهم والا فضرهُ عائد عليهم (رازى مجلد ٤ وجه ١٧٨ و ١٧٩)

ويفسره من البيضاوى هو وما جعلناك عليهم رقيباً وما انت عليهم بوكيل

تقوم باعورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى لا تذكروا الهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح (بيضاوى مجلد ١ وجه ٣٩٤)

(ملاحظة) وهذه آية سادسة تبين لك القدر الذى جعل لمحمد من لدن الله وهو البلاغ والانذار ولزيادة البيان ودفعاً للتوهم انه جُعِل ايضاً لمحمد مجازاة الذين لا يقبلون بلاغهُ وانذارهُ قال وما انت عليهم بوكيل والتفسير ما جعلهُ عليهم حفيظاً ولا وكيلاً على سبيل المنع لهم فحاصل ما راينا فيما تقدم ان محمداً قد نُهِي نهياً مطلقاً راسخاً عن ايذاء المشركين بداعى لجائهم الى الدخول فى الدين بثلاثة امور وهي (١) عدم اكراههم الى الاسلام بالسلاح او غيرهِ (٢) عدم الامتناع عن الاحسان اليهم (٣) عدم سبهم فماذا بقى له غير البلاغ والانذار بالحب واللطف والحلم قبلوا او ابوا

"ولو شاء ربك لآمن مَن فى الارض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفسٍ ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون" (يونس آية ٩٩ و ١٠٠)

(التفسير) قال المراد ولو شاءَ ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً على راى الجبائي والقاضى وغيرهما مشيئة الالجاء اى لو شاءَ الله ان يلجئهم الى الايمان لقدر عليهِ ولصح ذلك منه ولكنهُ ما فعل ذلك لان الايمان الصادر من العبد على سبيل الالجاء لا ينفعهُ ولا يفيدهُ فائدة "افانت تُكرِهُ الناس حتى يكونوا مؤمنين" والمعنى ان لا قدرة لك على التصرف فى احد والمقصود منه بيان ان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الاّ للحق سبحانه وتعالى "وما كان لنفسٍ ان تؤمن الاّ باذن الله تعالى" قال القاضى المراد ان الايمان لا يصدر عنه الاّ بعلم الله وتكليفه او باقدارهِ عليه (رازى وجه ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ مجلد ٥)

وتفسير البيضاوي لهذه الآية هو افانت تُكره الناس بما لم يشاء الله منهم . . . على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيلهُ بالاكراه عليه "وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله" الاّ بارادته واطلاقهِ وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانهُ الى الله (بيضاوي مجلد ١ وجه ٥٥١)

(ملاحظة) لا جرم ان هذه الآية كالآية الاولى في هذا الباب نهيٌ عن الاكراه بالطف اسلوب وهي كانت اما لان محمداً كان قد ابتدأ باتخاذ وسائل الاكراه او نوىٰ ليجربه متى تمكنت الاحوال وهي تبين تقصير الاكراه عن ابلاغ الناس شاوَ الايمان لما ان ذلك عطيّة الله وخاصٌ به. فاذا كان الاكراه في الدين ممنوعاً من لدن الرحمن لعدم نفعه وفائدته فكيف وجب الاكراه

"قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسهِ ومن ضلّ فانما يضلّ عليها وما انا عليكم بوكيل" (يونس مكّية آية ١٠٨)

(التفسير) خلاصة تاويل هذه الآية انه تعالى بيّن انهُ اكمل الشريعة وازاح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها وما انا عليكم بوكيل فلا يجب عليّ من السعي في ايصالكم الى الثواب العظيم وفي تخليصكم من العذاب الاليم ازيد مما فعلت قال ابن عباس هذه الآية منسوخةٌ بآية القتال (رازي مجلد ٥ وجه ٣٩)

(ملاحظة) ان لك في هذه الآية وتاويلها امران

(الاول) انهُ تعالى ما قصد بإرسال محمد اكثر من انزال الشريعة وابلاغها الناس

(الثاني) انهُ ليس من الواجب على محمد من جهة الناس اكثر من البلاغ والانذار فعليه اذا كان محمد باشر القتال واتخذ وسائل القهر والاكراه فهو انما عمل ما لم يكن في قصد الله بارساله وغيرالواجب عليه واذا كان لا يجب على محمد اكثر من البلاغ والانذار والنصح كيف وجبت عليهِ الغزو والغارات والقتل والنهب والسبي واذا كان ذلك جائزا وواجباً فما القول لا اكراه في الدين أفانت تكره الناس حتى يؤمنوا فكيف لا اكراه في الدين وفي الدين اكراه لعمرك ذلك من اعظم الفساد والخلاف غير القابل للجمع والائتلاف وما احلى ما قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية القتال فيا ابن عباس أحقاً لم ترَ عدم قابلية الآية للنسخ أو لم ترَ ان القول لا اكراه في الدين هو نفي مطلق للاكراه والقول افانت تكره الناس حتى يؤمنوا الى آخر الآيه بيان جلي لعدم نفع الاكراه وانه تعالى لا يريده وكيف قال لمحمد وما جعلناك عليهم حفيظاً

وما انت عليهم بوكيل وهذا ليس فقط قولك يا ابن عباس بل هو قول المسلمين اجمع من حين شرع محمدكم بالغزو والقتال وليس من مسلم يقول بثبوت هذه الآية المكينة ويبقى في قلبه محلٌّ لآيات القتال ولا اعلم كيف علماء الاسلام وهم يفهمون هذه الآيات ويأولونها هذا التأويل الحسن يقبلون آيات القتال ويرون وجوبها وصلاحيتها واذا كانوا هكذا يعتقدون بان كلا فِئتي الآيات من عند الله يكونوا لابدّ بارتباك لا يرون الى الخروج منه من سبيل بل يبقون يتقلبون بين هذا وذاك الى ما شاء الله

"والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل" (شورى مكية آية ٤)

(التفسير) الذين اتخذوا من دونه اولياء اى جعلوا لهُ شركاءَ وانداداً الله حفيظ عليهم اى رقيبٌ على احوالهم واعمالهم لا يفوتهُ منها شيٌ وهو محاسبهم عليها ولا رقيب عليهم الا هو وحده وما انتَ يا محمد بمفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر (رازى مجلد ٥ وجه ٣٨٥ و ٣٨٩)

"والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمتهُ عليكم لعلكُم تسلمون فان تولّوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم لكافرون" (النحل مكيّة آية ٨٣ و ٨٤ و ٨٥)

(التفسير) نقتصر على تاويل "فان تولّوا فانما عليك البلاغ المبين" قال اى ان تولوا يا محمد وأعرضوا وآثروا لذات الدنيا ومتابعة الآباءِ والمعاداة فى الكفر فعلى انفسهم جنَوا ذلك وليس عليك الا ما فعلت من التبليغ التام (رازى مجلد ٥ وجه ٥٠٣)

وتفسير البيضاوي لهذه الآية فان تولوا او اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك

البلاغ المبين فلا يحزنك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبّب (مجلد اول وجه ٦٧٧)

(ملاحظة) وهذه ايضًا ثلاث آيات تبين كون محمد ما ارسل لقسر الناس واكراههم على الايمان ومؤدّى الأمر سواءٌ اهتدى المشركون بواسطة سمع الكتاب او ضلّوا ما انت عليهم بوكيل اى لست مامورًا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر والثانية لا رقيب على المشركين الّا الله وحدهُ وان محمدًا غير مفوض اليه منه تعالى امرهم ولا قسرهم على الايمان والثالثة ان اعرض القوم عن قبول بلاغه وانذاره ليس عليه الّا البلاغ فواعجبًا كيف علماء الاسلام يعرضون عن الاخذ بمفاد هذه الآيات المرنجة ويستجيزون مخالفتها بما يزعمون نزوله من آيات القتال فيا محمد اذا كان لا رقيب على المشركين الّا الله وحدهُ فكيف صرت عليهم رقيبًا واذا كنت ما انت عليهم بوكيل حتى تكرههم على قبول الدين فكيف صرت عليهم وكيلًا حتى تغزوهم وتهرق دماءهم وتسبي ذراريهم واذا كان ربك ما فوّض اليك امرهم بل انما امرك فقط بابلاغهم وانذارهم وان هذا عليك قبلوا ام امتنعوا فلِمَ لم تقف على هذا الحد حتى ان تولّوا تدعهم وشانهم وربّك بصير بهم

"واما نرينك بعض الذي نعدهم ونتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب" (الرعد مدنيّة اية ٤٠)

(التفسير) ملخصهُ قال اعلم ان المعنى واما نرينّك بعض الذى نعدهم من العذاب او نتوفينّك قبل ذلك والمعنى سواءٌ اريناك ذلك او توفيناك قبل ظهوره فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته وعلينا الحساب والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ كالسراح والاداء

(ملاحظة) الامر واضح من هذه الآية انهُ ليس على محمد سوى ابلاغ الناس رسالة ربه وعلى الله محاسبتهم ان تولوا اى اعرضوا عن قبولها مصرين على كفرهم كما رايت فيما تقدم من الآيات غير ان هذه الآية كفصل الخطاب في بيانها ما على محمد وما على الله "فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب" كأنه تعالى قسم امر العباد بينه وبين محمد بان جعل على محمد ابلاغهم

حقهُ تعالى وعليه محاسبتهم ومجازاتهم فاذا كان الامر هكذا هل لمحمد ان يدين المعرضين عن ابلاغهِ متخطياً الحد الموضوع لهُ من ربهِ

"ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً" (الاحزاب آية ٤٧)

(التفسير) ملخصه قال ولا تطع الكافرين اشارةً الى الانذار بعني خالفهم ورد عليهم وعلى هذا فقوله تعالى ودع اذاهم اى دعهُ الى الله فانهُ يعذبهم بايديكم وبالنار (رازى مجلد ٦ وجه ٧٨٩ و ٧٩٠)

وتفسير الجلالين لهذه الآية ولا تطعهم فيما يخالف شريعتك واترك اذاهم لا تجازهم على كفرهم ونفاقهم وتوكّل على الله فهو كافيك (جزء ثاني وجه ١٢٠)

(ملاحظة) لا غروَ ان الاصابة للجلالين دون الرازى فى تفسير هذه الآية وانك ترى فى تفسيرها من الرازى عيباً وخطاءً بيناً لا يجدر بعاقل نظيره فاى بصير مميّزٍ يرى فى القول ودع اذيتهم انه يعذبهم بايدى محمد واتباعه فهل النهى عن إذاء القوم فى عرفه انباء على ان المنهي سيعذب اولئك القوم بايدى المُنهَى عن اذاهم وقومهِ فكأن الامام رام التوفيق بين هذا النهى والردع عن اذية الكافرين والمنافقين وبين القول ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليّاً ولا نصيراً (سورة النساء آية ٨٨) فاختلف هذا المعنى الغريب للنص ودع اذيتهم ولم يدرِ ان التوفيق بين هذين القولين والجمع بين هذين الضدين ليس بايسر من التوفيق بين النار والماء والجمع بين والحرام الحلال

ثم ان النص فى هذه الآية بيانٌ لعلّة وجود الآية "لا اكراه فى الدين" والآية افانت تكره الناس حتى يؤمنوا وهو الايذاء المُكرِهِ فكأنّ محمداً كان همّ او بدّى باذية القوم لاكراههم على قبول الاسلام فنُهى بهما عن الاكراه واذا كانت تانك الآيتان هما اخباراً بمعنى النهى عن الاكراه فالقول ودع اذاهم نهىٌ بيّن فلا نرى الاّ نهياً يتابع نهياً وتحريضًا يتابع تحريضاً على عدم التعرض للمشركين بسوءٍ واذاء بل الاقتصار على بلاغهم وانذارهم ومجادلتهم بالتي هى احسن فتأمّل

"ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربّك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيلهِ وهو اعلم بالمهتدين" (النحل آية ١٢٦)

(التفسير) ملخص التفسير قال ادعُ الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة وهي البراهين القطعيّة اليقينيّة وعوام الخلق بالموعظة الحسنة وهي الدلائل اليقينيّة الاقناعيّة الظنيّة وتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن الأكمل ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم بالمهتدين والمعنى انك مكلف بالدعوة الى الله تعالى بهذه الطرق الثلاث فامّا حصول الهداية فلا تتعلق بك (رازي مجلد ٥ وجه ٥٣٥)

وتفسيرها في الجلالين هو ادعُ الناس يا محمد الى سبيل ربك دينهِ بالحكمة اى بالقرآن والموعظة الحسنة مواعظهُ او القول الرقيق وجادلهم بالمجادلة التى هى احسن كالدعاء الى الله بآياته والدعا الى حججهِ "ان ربك اعلم بمن ضل" فيجازيهم (جزء اول وجه ٢٥٨)

(ملاحظة) هذه الآية بيانٌ لوظيفة محمد وهي دعوة الملأ الى سبيل الله بالبرهان والدليل بالرفق والحلم والاقتصار على ذلك فليت محمداً استمرّ على هذه المعاملة ووقف على هذا الحد ولم يتخطّاهُ الى الغزو والاغتيال كاغتيالهِ الرجال الذين لم يقبلوا دعوته او نكثوا عليه ككعب ابن الاشرف وابى عفك الشيخ وسفيان ابن خالدٍ وابى رافع ابن ابى عقيق الامر الذى لا يجدر بذى البأس فكم بالأولى من هو باعتبار نبي مرسَل للارشاد والهدى

"وبالحق انزلناهُ وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرًا ونذيرًا" (بني اسرائيل مكية آية ١٠٦)

(التفسير) ملخص التفسير قال اعلم انهُ تعالى لما بيّن ان القرآن معجز قاهر دال على الصدق . . . ثم حُكي ان الكفار لم يكتفوا بهذا المعجز بل طلبوا سائر المعجزات ثم اجاب الله بانهُ لا حاجة لاظهار سائر المعجزات وبيّن

ذلك بوجوهٍ كثيرة منها ان قوم موسى عليه الصلاة والسلام اتاهم الله تسع آياتٍ بينات فلما جحدوا بها اهلكهم الله فكذا ههنا ثم انهُ تعالى لو اتى قوم محمد تلك المعجزات التي اقترحوها ثم كفروا بها وجبَ عذاب الاستيصال بهم وذلك غير جائزٍ في الحكمة لعلمه تعالى ان منهم من يؤمن والذي لا يؤمن فسيظهر من نسلهِ من يصير مؤمناً ولما تمّ هذا الجواب عاد الى تعظيم حال القرآن وجلالة درجتهِ فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل والمعنى انه ما اردنا بانزالهِ الاَّ تقرير الحق والصدق ثم قال تعالى "وما ارسلناك الاَّ مبشراً ونذيراً" والمقصود ان هولاءِ الجهّال الذين يقترحون عليك هذهِ المعجزات ويترددون عن قبول دينك لا شيَّ عليك من كفرهم فاني ما ارسلتك الاَّ مبشرًا للمطيعين ونذيرًا للجاحدين فان قبلوا الدين الحق انتفعوا بهِ والاَّ فليس عليك من كفرهم شئٌ (رازى مجلد ٥ وجه ٦٦٧ و ٦٦٨)

(ملاحظة) ان دعوى كون القرآن معجزاً قد تكلمنا عليها واثبتنا بطلانها في الباب الاول من هذا المولف وكذلك مسئلة عذاب الاستيئصال فلتراجع في محلاتها ثم لا خفى القاري العزيز ان لفظة الاَّ في هذه الآيه تفيد الحصر بان محمداً ليس هو اكثر من مبشرٍ ونذير ما أُرسِل الاَّ الى ذلك اذا اقام بهما يكون ادّى كلما عليهِ فليس له ان يتجاوز امر التبشير والانذار لانهُ ما أُرسِل (حسب الآية) الاَّ الى ذلك ولنفرض ان الآية كانت بسبب اقتراح القوم على محمد آيات معجزات كآيات موسى وعيسى وان المراد بها ان محمداً ما أُرسل لعمل الآيات نقول يدخل تحت هذا الحصر ايضاً انه ما أُرسل لقتال الناس بداعي اكراههم والجائهم الى الدين الممنوع كتابيًا بالآيات المتقدمة وبعد فلا احلى ولا اجمل من كلمتي مبشر ونذير لان الاولى خبر خير والثانية خبر عن شرٍ مقبل ممكن توقيهِ مبشر للمطيعين ونذير للجاحدين فاسألك اذا لجاءَ هذا المبشر والنذير الى وسائل القهر والإكراه الا يكون تجاوز حدود ارساليته هذه وهل يبقى من مقامٍ لحرف الاَّ في آية وما ارسلناك الاَّ مبشرًا ونذيراً وهل يمكن للقوم ان يتوسموا فيه المبشر وهم لا يرونه الاَّ عاتياً قاهراً مُجبراً يدعو الملا بحدّ سيفه الى قبول دعوته او اداء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون وهل من عاقلٍ يرى لزوماً للقول وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً اذا كان سبحانه ارسلهُ لغزو الاقوام وقسرهم على الاسلام وهل من مُسلم مدرِك حرّ الفكر لا

يرتاب كل الارتياب لدى تامله بمثل هذه الآيات البينات وهو يرى محمداً رجل حروب وفتوحات وغنائم لا لعمرى لا . .

"انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسهِ ومن ضل فانما يضلّ عليها وما انت عليهم بوكيل" (سورة الزمر مكيّة آية ٤٢)

(التفسير) خلاصتهُ ان محمداً كان يعظم عليهِ اصرار القوم على الكفر فقال تعالى انا انزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس ولاهتدائهم بهِ وجعلناهُ مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انهُ من الله فمن اهتدى فنفعهُ يعود عليهِ ومن ضلّ فضرر ضلالهِ يعود عليهِ وما انت عليهم بوكيل والمعنى لستَ مأمورًا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدمهُ مفوّض اليهم وذلك لتسلية الرسول فى اصرارهم على الكفر (رازى مجلد ٧ وجه ٢٦٥ و ٢٦٦)

(ملاحظة) لا زالت الآيات تتوارد بالسور المتتابعة ان محمدًا ليس على الناس بحفيظ او وكيل وما فتئ المفسرون يذهبون فى تفسيرها ان الله ما جعل النبي على الناس وكيلاً لقهرهم وقسرهم على الايمان او مجازاتهم على اعراضهم وعدم ايمانهم فقد ورد ذلك كما قد رايت بست آيات فى خمس سوَر ٣ فى سورة الانعام و ١ فى سورة يونس و ١ فى سورة شورى و ١ فى سورة الزمر وما جاء فى تفسير هاته الآيات هو ليس لمحمد مجازاة الناس على تكذيبهم اياه بل ذلك لله لا آخذكم بالايمان اخذ الحفيظ والوكيل بل احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله الحفيظ عليكم. وان الالجاء الى قبول البصائر من الله يبطل الغرض منها وهو الثواب اى انه لا يكون ثواب لمن أُلجئ الى قبول دلائل الله. وان محمداً ماجُعِل عليهم حفيظاً او وكيلاً على سبيل المنع لهم. وان لا يجب على النبي من السعى فى ايصال القوم الى الثواب العظيم وفى تخليصهم من العذاب الاليم ازيد مما فعلَ وهو التبشير والبلاغ والانذار. وان محمدًا ما فُوّض اليهِ امر القوم وقسرهم على الايمان وان الله هو الرقيب

على اعمالهم ومحاسبهم عليها. وليس محمّد ماموّرًا بحمل القوم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدمه مفوّض اليهم انتهى

فلقد راينا فى هذه الآيات وامثالها فى هذا الباب اربعة امور حريّة بالاعتبار (الاول) عدم جواز الاكراه فى الدين (ثانيًا) عدم جواز مجازاة المعرضين عن قبول دعوة محمد (ثالثًا) عدم وجوب منع التصدّق عليهم (رابعًا) بيان العمل الذى أُرسل اليهِ محمد الذى هو التبشير والانذار وتحديده على سبيل الحصر. فانظر اذا كان محمد ليس فقط مَنْهيًّا عن اتخاذ وسائل الاكراه والقهر بل مامورًا بالاحسان لغير المؤمنين لئلا يكون مسك التصدّق عليهم وسيلة لالجائهم الى الدين لكون الاكراه والالجاء الى الايمان ينافى التكليف ويبطل الغرض من الدين الذي هو الثواب وان محمدًا ما أُرسل لمثل ذلك فهل يبقى من محلٍ بعد آيات القتال أَوْ من مسوغٍ للاكراه والالجاء والقهر كلّا لانه كيف يكون لا اكراه فى الدين وفى الدين اكراه. وكيف الاكراه والالجاء الى الدين غير نافع ونافع وكيف محمد ما أُرسل لمثل ذلك وأُرسل اليهِ فهل لعمرك من نقيضين اعظم من هذين وهل من سبيل للجمع بينهما هل يسوغ ان يُنسب لله الكامل القدوس مثل هذا التناقض والتضاد اى ان يقول ما ارسلت عبدى فلانًا الّا لعمل كذا وكذا ثم يقول بل ارسلتهُ ايضًا لعمل كذا وكذا وما ارسلت عبدى ليفعل كذا ثم ينقض قوله ويقول بل ارسلتهُ ليفعلهُ وما اقمتهُ على الناس وكيلاً ليكرههم او يقاصهم ثم يقول اقمتهُ ليجاهد الكفار والمنافقين كلّا وحاشا لله ان ياتى مثل ذلك جلّ وعلا عنهُ علوًّا كبيرًا

تذييل

من المعلوم ان محمدًا الناطق بهذه الآيات السلميّة ما دام فى مكة سار بموجبها بتواضعٍ وحلمٍ ودِعة وكذا بعد هجرتهِ الى يثرب مدّة وانما حين استفحل امرهُ وعَظُمَ شانه بوفرة انصارهِ وابطاله رأى ثمّ من مصلحته ومصلحة اصحابه وتبعتهِ العدول عن منهج السلم والدعة والاقتصار على البلاغ والانذار الى منهج الغزو والغارات. فانقلب من مبشر ونذير الى قاهر مُجبر ومن رجل الدِعة والسكينة الى رجل الحرب والقتال اذ اخذت آيات القتال تنصبّ عليهِ صبًّا فلم يبقَ لتلك الآيات السلمية من مقام الاعتبار سوى مجرد وجودها فى القرآن وليس من غرضنا فى ذيل هذا الباب الخوض فى مسئلة الناسخ والمنسوخ لأنّنا افردنا

لها باباً مخصوصاً سوى اننا نسأل المسلم الفطن من خلا لبه من شائبة العصبية وراق ذهنه من عكر الاغراض الطائفية هلا يرى ديمومة الغرض في هذه الآيات اي الاخذ بها والعمل بموجبها الى ان تقوم الساعة وتنقضي الدنيا واذا كانت هذه الآيات هكذا راسخة ثابتة دائمة الغرض كما قد تبرهن لك ينتج من ذلك ان العدول عنها عدول عن اطاعة منزلها فهل يسلم بذلك والا فليرنا المخرج من هذه والدائرة وله الفضل نعم ان بعض المفسرين لم يروا في وسعهم كما رأيت الا جعل غرض هذه الآية موقتاً لغاية تنزيه القرآن عن الاختلاف والتضاد على ان تعبهم في ذلك يذهب ادراج الرياح لدى القارئ النبيه الذي لا يرى فيها ادنى الماع الى الموقت بل بالحري كل جزء منها يبين انها كانت للعمل بها على الدوام واذا على فرض حاول قيد عقله واسر فكره الى ما ارتآه الآخرون من وتثبيتها بغية التاليف بين آيات القرآن يلقى من نفسه مقاومة ومن ضميره توبيخاً انك لمن الظالمين ظلمت للحق وعقلك لما ان هذه الآيات هي الاولى في القرآن وهي غير قابلة الالغاء والزوال

على اني لا اصدق ان مسلماً لبيباً مخلصاً يرى ان هذه الآيات انما انزلت للعمل بها ما دام الرسول في حالة العجز والضعف وتلغى او تطوى متى اعتز بالرجال وتقوى بالعدد والمال وهو يقرا فيها كما بالقلم العريض "لا اكراه في الدين" وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً "عليك البلاغ وعلينا الحساب" وهنا في عيني المسلم العاقل مشكل لا يرى من حله من سبيل وهو اذا كانت الآيات هكذا مكينة ثابتة لا تطوى ولا تلغى فاين المحل لآيات القتال للاكراه الى الدين والانتقام من الذين لا يؤمنون واني له التوفيق بينها واذا كان ذلك محالاً فكيف تكون منّا الآيات من الله والتملص من هذا الاشكال بالقول سبحان الله انه فوق كل ذي علم عليم لا يغني عنه مثبلاً فسبحان الله مدى الادهار غير ان تسبيح الله واجلاله شيء وفهم الآيات واعتبارها والعمل بها شيء آخر وفق الله عباده الى طاعته وتمجيده بمنه وكرمه انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

الباب الثالث

فى الناسخ والمنسوخ فى القرآن

"ما ننسخ من آيةٍ او ننسها نأتِ بخير منها او مثلها الم تعلم ان اللّه على كل شيء قدير" (البقرة آية ١٠٠)

(التفسير) فى تفسير هذه الآية مسائل واوجه كثيرة مستطيلة الكلام نأتى باهمها ملخصاً قالوا ان النوع الثانى من طعن اليهود فى الاسلام انهم قالوا الا ترون الى محمدٍ يامر اصحابه بامرٍ ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافهِ. ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه فنزلت هذه الآية

ومن المسائل فى تفسير هذه الآية انهم اتفقوا على وقوع النسخ فى القرآن وقال ابو مسلم بن بحر انهُ لم يقع واحتج الجمهور على وقوعهِ بوجوه (احدها) هذه الآية "ما ننسخ من آيةٍ او ننسها" الى آخر الآية (الثاني) ان الله تعالى امر المتوفى عنها زوجها بالاعتداد حولاً كاملاً ثم نسخ ذلك باربعة اشهر وعشرا. (الثالث) انهُ تعالى امر بثبات الواحد للعشرة بقوله فان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين (الرابع) انه نسخ القبلة عن بيت المقدس الى حرم مكة وايضاً قولهُ تعالى "واذا بدّلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزّل قالوا انما انت مفترٍ . . ." فالتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع امّا التلاوة وامّا الحكم فكيف كان فهو رفع ونسخ. "او ننسها" ان النسيان يصح فى هذه الآية بان امر الله بطرح ذلك المنسي من القرآن واخراجه من جملة ما يتلى ويؤتى به فى الصلاة او يحتج بهِ يُروى انهم كانوا

يقرأون السورة فيصبحون وقد نسوها او ننسها ان نتركها وهي الآية التي صارت منسوخة في الحكم ولكنها غير منسوخة في التلاوة (رازي مجلد ١ وجه ٦٥٧-٦٦٢)

وتفسيرها من البيضاوي هو قال نزلت الآية لما قال المشركون او اليهود آلا ترون محمدًا يامر اصحابهُ بامرٍ ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه ونسخ الآية بيان انتهاء التعبّد بقرائتها والحكم المستفاد منها او بهما جميعًا "ما ننسخ" اى نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة "وننسها" اى ننسي احدًا اياها وتنسّها اى انت وقرأ عبد الله "ما ننسِك من آيةٍ او ننسخها نأت بخير منها او مثلها" اى بما خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب "الم تعلم ان الله على كل شيء قدير" فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منهُ الآية دلّت على جواز النسخ ... (مجلد ١ وجه ١٠٤ و ١٠٥)

وتفسيرها من الجلالين هو ما ننسخ من آيةٍ اى نزل حكمها اما مع لفظها او لا وفي قراءة بضم النون من أنسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او ننسها نؤخرها فلا نُنزل حكمها ونرفع تلاوتها او نؤخرها في اللوح المحفوظ او نُنسِها اى ننسيكها اى نمحها من قلبك وجواب الشرط "نأتِ بخير منها" انفع للعباد في السهولة او كثرة الاجر "او مثلها" في التكليف والثواب "الم تعلم ان الله على كل شيء قدير" ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير (جزء اول وجه ١٨)

(ملاحظة) للقارئ العزيز في تفسير هذه الآية ثلاث نِكت. (النكتة الاولى) الداعي الى طعن المشركين واليهود في الاسلام وما من ذي نصفةٍ لا يرى هذا الطعن في محلهِ من وجهين (الاول) هو لشهرة العرب بثبات القول كشهرتهم في الكرم فالموت احبّ اليهم من تغيير قولهم والاخلاف في اوعادهم فلما رأوا محمدًا يغيّر ويبدل في مقالهِ اى يرجع عمّا سلف من قولهِ ويأمر في الغد بما نهى عنهُ في امسهِ انكروا عليهِ ذلك لمنافاته العادة العربيّة وحسبوا الاسلام العوبة لا يجدر بالعاقل قبولهُ

(الوجه الثاني) لأن اليهود لم يعهدوا مثل ذلك في شرعهم ولا كان في انبيائهم. اى لا امر ولا نهي من اوامر ونواهي الشرع الذي أُعطي بموسى نُسخ بلسانه او بلسان خلفهِ يشوع وكل الانبياء بعد موسى حتى المسيح صادقوا على شرع موسى كما أُنزل بدون تغييرٍ او تبديلٍ مّا فلما رأوا محمدًا وهو يدعي النبوة ينسّخ ليس فقط من احكام التوراة بل كثيرًا من الاحكام المدّعي انزالها

عليهِ من عندِ الله اتباعًا لظروف الزمان والمكان انكروا دعواه حاسبين ذلك منه ضرباً من الحِيَل السياسيّة

(النكتة الثانية) هي الدلالة من مثل هذه الآيات الناسخة الى ضعف قائلها والله سبحانهُ ان يَشُوبَهُ ضعف او عجز فينتج من ذلك انها ليست من عند الله لان ما تنقيص عِدّة المتوفى عنها زوجها من حول كامل الى اربعة اشهُر وعشرة ايام وثبات الواحد الى عشرة الى ثبات الواحد لاثنين الّا ضعف بيّن في القائل كأنهُ جهل المستقبل وهو ان طول العدّة هكذا للمترملة لاتناسب بعد حين لما ان ذلك يضحى تجربةً لها او حملاً ثقيلاً على من يتوق الى الزواج بها وان في المسلمين ضعفاء يعجزهم الضعف عن ثبات واحدهم للعشرة كقول الآية وعلم ان فيكم ضعفاء الم يعلم علام الغيوب ذلك لما قال بثبات واحدهم للعشرة وان كان ولا بُدّ عليهِ لِمَ لَمْ يكن امرهُ منذ الاول واحدًا بحيث لا يكون داعي الى نسخه فمن اين اذًا هذا الناسخ لذلك المنسوخ

(النكتة الثالثة) في الإنساء والنسيان المختلف فيهما قال بعضهم ان الله امر بطرح ذلك المنسي من القرآن وبعضهم ان المنسي منسوخ في الحكم لا في التلاوة وبعضهمْ قالوا بالامرين اي بالقراءة والحكم تحت او واو وبفسر ننسها نُنسي احدًا اياها وتنسها اي انت يا جبريل وبعضهم نزيل حكمها اما مع لفظها او لا او نُزيل حكمها ونرفع تلاوتها او نؤخرها او نمحوها من قلبك يا محمد فعلى اي اوْ ايها المسلم النية تعتمد وباي تأويلٍ تاخذ وبعد فان الآيات المنسوخة لم تزل من القرآن فهي لا تزال فيهِ تتلى من المسلمين خلافًا للمذهب الاول غير انها لا حُكمَ لها ثم ان كلمة ننسها تفيد النسيان اي ذهاب تلك الآية من ذهن السامع والقارئ كما لو كانت لم تُسمَع ولم تُعقَل وفقاً للرواية انهم كانوا يقرأون السورة فيصبحون وقد نسوها ولمّا كانت هذه المنسوخة لم تزل في مصحف القرآن تُقرأ وتسامَع وتُعقَل فاين القول او ننسها وهي غير منسيّة وعليهِ فالآية المزعوم انزالها لإبكام اليهود وافحامهم او لراحة افكار المسلمين المزعجين بذلك الطعن المقبول قد زادت الطين بلّة والمفسرون قد جعلوهُ مَرِقاً لا ينفع فلا اعلم كيف يمكن المسلم الحرّ الفكر ان يعتبر هذه الآية وتأويلها علاجاً شافياً لذلك الطعن ودفعاً قانونيّاً لذلك الاعتراض ثم وليس في الغاء فرع او بندٍ من بنود الشرع والاتيان ببندٍ مثلهِ او خيرٍ منه ما يدل على القدرة الباهرة حتى يقال في ذلك "الم تعلم ان الله على كل شيء قدير"

بل بالحرى ما يَشلّ عن ضعف المؤلّف الذى يُنقّح تأليفه بالالغا والتغيير والتبديل فى جُمَلِهِ وكلماتهِ كعادة ارباب التآليف من الناس

"واذا بدّلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزلهُ روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين" (سورة النحل آية ١٠٣ و ١٠٤)

(التفسير) ملخصاً قال قال ابن عباس كانت اذا نزلت آيةٌ فيها شدة ثم نزلت آية الين منها تقول كفار قريش والله ما محمد الا يسخر باصحابهِ اليوم يأمر بامر وغداً ينهى عنه وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسهِ فانزل الله هذه الآية "واذا بدلنا آية مكان آية" ومعنى التبديل رفع الشئ مع وضع غيره فى مكانهِ وتبديل الآية رفعها بآية اخرى غيرها وهو نسخها بآيةٍ سواها وقولهُ والله اعلم بما ننزل من الناسخ والمنسوخ والتغليظ والتخفيف اى هو اعلم بجميع ذلك مى مصالح العباد وهذا التوبيخ للكفار على قولهم انما انت مفترٍ اى اذا كان هو اعلم بما ننزل فما بالهم ينسبون محمدا صلى الله عليهِ وسلم الى الافتراء لاجل التبديل والنسخ "بل اكثرهم لا يعلمون" حقيقة القرآن وفائده النسخ والتبديل وان ذلك لمصالح العباد "وروح القدس" هو جبريل عليهِ السلام اضيف الى القدس وهو الطهر اى ان جبريل نزل القرآن من ربك ليثبت الذين آمنوا اى ليبلوهم بالنسخ .... على ان مذهب ابى مسلم الاصفهانى فى ان النسخ غير واقع فى هذه الشريعة فقال المراد ههنا اذا بدّلنا آية مكان آية فى الكتب المتقدمة مثل انه حول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة قال المشركون انما انت مفتر فى هذا التبديل واما سائر المفسرين فقالوا النسخ واقع فى هذه الشريعة والكلام فيه على الاستقصاء مذكور فى سائر السوَر وذهب الشافعى ان القرآن لا يُنسَخ بالسنّة واحتج على صحة مذهبه هذا بقولهِ "واذا بدّلنا" آية مكان آية يقتضى ان الآية لا تصير منسوخة الا بآيةٍ أُخرى وهو ضعيف لان لا دلالة فى الآية على انهُ تعالى لا يبدل آية الا بآيةٍ وايضاً فجبريل عليهِ السلام قد ينزل بالسنّة كما ينزل بالآية (رازى مجلد ٥ وجه ٥١٩ و ٥٢٠)

وتفسيرها من البيضاوى هو بدّلنا بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظًا وحكمًا "والله اعلم بما ينزل" من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعدهُ فينسخهُ وما لا يكون مصلحة حينئذٍ يكون مصلحة الآن فيثبتهُ مكانهُ "قالوا انما انت مفترٍ" اى متقوّل على الله تامر بشئٍ ثم تبدل ذلك فتنهى عنه وهو جواب اذاً الله اعلم بما يُنزّل "بل اكثرهم لا يعلمون" اى لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب "قل نزّلهُ الروح القدس" يعنى جبريل عليهِ السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهى كقولهم حاتم الجود (مجلد اول و وجه ٦٨١)

وفى الجلالين "واذا بدلنا اية مكان آية" بنسخها وانزال غيرها لمصلحة العباد والله اعلم بما ينزل قالوا اى الكفار للنبي صلى الله عليهِ وسلم انما انت مفترٍ كذّاب تقول من عندك بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة القرآن وفائده النسخ (جز اول وجه ٢٥٦)

(ملاحظة) ليس فى الآية اعلاهُ من دفعٍ صحيحٍ او برهانٍ مقنعٍ لمشركي قريش الذين رمَوا محمداً بالافتراءِ على الله فيما يدعيه انهُ من عند الله بقولهم والله ما محمد الاّ يسخر باصحابهِ . . . وانهُ لا يقول هذه الأشياء الاّ من عند نفسهِ ومن ياترى لا يرى طعنهم هذا فى محلهِ اولاً من وجه الالغاء والتبديل والثانى لان المشترع لم ياتِ بآيةٍ قاهرةٍ تثبت كون هذا القرآن وهذا النسخ هو من عند الله و الاية ليست بشيءٍ من الدفع لتلك السهام لانهُ اذا كان القوم اعتبروا القرآن اختلاق محمد فتكون الآية داخلة تحت ذلك الاعتبار فلا تؤثر فيهم وهيّن على الانسان ان يدّعى لقولهِ التنزيل من الروح القدس انما ذلك لا يكون برهانًا على صحة دعواهُ ويظهر من الآية انها لم تكن الاّ لازالة الريبة من قلوب أصحاب محمد بقولها "ليثبت الذين آمنوا وهُدىً وبُشرَى للمسلمين فيلوح لك من ذلك ان اصحابهُ تأثروا من طعن قريش بسّبب التغيير والتبديل من محمد فى القرآن وراَبهم الامر فى صحة دعواه فكانت الآية "واذا بدلنا آية مكان آية الخ" فهذه الآية كسالفتها والداعى لهما واحد كما ترى غير ان المفسرين هنا يزيدوننا تنويراً فى بيانهم سبب هذا التبديل آية بآيةٍ وهو انما كان لما هو فيهِ من المصلحة وان الطاعنين بالإسلام من هذا القبيل ما طعنوا الاّ لانهم لا يعلمون حقيقة القرآن وفائده النسخ والتبديل وان ذلك

لمصالح العباد الى آخر القول فنقول لا يُصدّق بان العرّب الشبهاء لم يروا فائدة النسخ والتبديل في القرآن لغيةٍ تصبوا الى الغزو والفتوحات والغنائم كون الآيات المنسوخة والمبدّلة اكثرها ليس فقط لا توافقها على هذا المرام بل تنهاها عنه كما رايت فيما تقدم في الباب الثاني ولم يظهر قط انهم قالوا بعدم فائدة النسخ والتبديل انّما حين رأوا محمدا يُلغي ويبدل من القرآن بما يراهُ اوفق للمصلحة والحال حسبوا القرآن مختلقًا من نفس محمد بداعي انه لو كان من عند الله لما وقع فيه هذا النسخ والتبديل مجاراةً للمرام البشري ولتقلّبات القلب الانساني وبعد فعلى موجب التأويل المعوّل عليهِ يكون تغيّر الظروف وتقلبات الاحوال اوجبَ للنسخ والتبديل في القرآن كأنّ القرآن على ما يكون المسلمون لا المُسلمون على ما هو القرآن وكانهُ سبحانهُ ملتزم بقوله مجاراة العبد فيلغي اليوم من الاحكام التي انزلها امس او يبدلها بما يرضي ذلك المخلوق ويوافق أميالهُ ومشاربهُ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا ولمن المعلوم البيّن ان الانسان من دأبه التقلب في الآراء والتغيير في المناهج لما هو عليهِ من الفساد والضعف والقول بانهُ عزّ وجلّ ينسخ ويبدّل من اوامرهِ واحكامهِ ويحلّ من حرامهِ وفقًا لمشارب امته ومصلحة عبادهِ هو محض افتراء عليه تعالى كيف لا وهو العليم الثابت القول الراسخ الرأي الذي انما يعلن للعباد ارادته وينزل على الانسان احكامهُ وفقاً لكمالهِ وعلوّ شأنهِ ليس هو انسانًا فيكذب او ابن انسان فيندم فهل نقول ولا نفعل سبحانهُ من مجيد جليل لا خلاف في قولهِ ولا تبديل

"واللاتي يأتينَ الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ سبيلاً"
(سورة النساء مدنية آية ١٩)

(التفسير) قال زعموا ان هذه الآية صارت منسوخة بالحديث وهو ما روى عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهنّ سبيلاً البكر بالبكر والثيب بالثيب البكر تُجلَد وتنفى والثيب تُجلَد وتُرجَم ثم ان هذا الحديث صار منسوخًا بقوله تعالى الزانية

والزاني فاجلدوا كل واحد مائة جلدة وعلى هذا الطريق يثبت ان القرآن قد يُنسخ بالسنّة وان السنّة قد تُنسخ بالقرآن هذا رأي فريق من المفسرين والفريق الثاني ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد واعلم ان ابا بكر الرازي لشدة حرصهِ على الطعن في الشافعي قال القول الاوّل اولى لان آية الجلد لو كانت متقدمة على قولهِ خذوا عني لما كان لقولهِ خذوا عني فائدة فوجب ان يكون قوله خذوا عني متقدماً على آية الجلد وعلى هذا التقرير تكون آية الحبس منسوخةً بالحديث ويكون الحديث منسوخاً بآية الجلد فحينئذٍ ثبت ان القرآن والسنّة قد يَنْسَخُ كل واحدٍ منهما الآخر ثم يستضعف البعض تفسير ابو بكر الرازي ويشير فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ سبيلاً بان امساكهنّ في البيوت محدودٌ الى ان يجعل الله لهنّ سبيلاً وذلك السبيل كان مُجْمَلاً فلما قال صلى الله عليهِ وسلم خذوا عني الثيب تُرجَم والبكر تُجْلَد وتُنفَى صار هذا الحديث بياناً لتلك الآية لا ناسخاً لها الى ان يقول ومن المعلوم ان جعل هذا الحديث بياناً لاحدى الآيتين ومخصصاً الآية الأخرى اولى من الحكم بوقوع النسخ مراراً واما اصحاب ابي حنيفة. فيذهبون بان آية الحبس صارت منسوخةً بآية الجلد (الرازي مجلد ٣ وجه ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٧)

(ملاحظة) لقد جاءتنا هذه الآية وتأويلها بغرائب مدهشة لم تكن في الحسبان وهو نسخ القرآن بالسنّة والسنّة بالقرآن اى قد ينسخ احدهما الآخر فأنعِم بهِ من طرادٍ بين السنّة والقرآن زعموا ان السنّة قد نسخت الآية المتقدمة بحديث خذوا عني كما رايت فيما تقدم ثم انتصر القرآن لنفسهِ بان نسخ حكم السنّة المذكور بقولهِ الزاني والزانية فاجلدوا كل واحدٍ مئة جلدة

فكأنّ القرآن والحديث هما باعتبار هذه المسألة خصمان يروم كلّ منهما امتهان الآخر فتأمّل ثم ان بعضهم تخلّصاً من هذا الامر المعيب ذهبوا ان الحديث خذوا عني . . . انما هو بيان لآية الحبس لا ناسخ لها مفسرين او يجعل الله لهنّ سبيلاً ان هذا السبيل هو ما روي في الحديث بالجلد والنفي للبكر والجلد والرجم للثيب فهل يا تُرى من مسلمٍ بصيرٍ مخلص يرضى بذلك وهو يرى ان آية الحبس مبدولة بآية الجلد فلو انّ ذلك السبيل المنوّه عنهُ بآية الحبس هو النفي والرجم بحسب رواية الحديث لكانت آية الجلد النابعة ابانت ذلك ولمّا ان هذه الآية نسخت الحديث بالنفي والرجم كما تقدم بيانهُ ثبت ان حديث

الرجم ليس هو السبيل المتوّد عنهُ في آية اللمس فانظر حفظك الله ابسوغ ان يُنسب مثل هذا العمل لله الجليل العليم وَالّا يكون امتهانًا للهِ القول بانه سبحانهُ يقول قولاً ثم نسخهُ بقولٍ ينافيه ثم ينسخ الناسخ بقولٍ آخر ايليق مثل ذلك بعظماء الدنيا كلّا وهل بلغك عن عظيمٍ في الارض اتى بمثله فان كان ذلك لا يجدر بالانسان فكم بالاولى لا يجدر برب السموات والارض سبحانهُ ان يشوبه شائبة وجلّ وعلا عما اليهِ ينسبون

تذييل

ليس في القرآن اغرب من مسئلة الناسخ والمنسوخ ولا أشكل منها في عينيّ المسلم الفطن فلا بُدْعَ ان تأخذهُ الحيرة لدى النظر في هذه المسئلة نظرًا دقيقاً خاليًا من شائبة الغرض وهل يقدر ان يرى القول بان المنسوخة كانت في وقت انزالها غايةً في المناسبة لمصلحة الاسلام اذ كان المسلمون حينئذٍ بحال الوهن والضعف فاقتضى ابدالها حال اعتزاز الاسلام بما هو خيرٌ منها حلّاً صحيحًا لهذا الاشكال وهو يرى الآية الفاصلة "وما ارسلناك الّا بشيرًا ونذيرًا" (سورة اسرائيل مكيّة آية ١٠٤) لا لعمري وهل بالاقل لا يدور في خلدهِ عدم امكان التمييز الصحيح بين الناسخ والمنسوخ وان لعلّ الناسخ هو الذى عندى المنسوخ او ان المنسوخ هو الذى عندى الناسخ فما ادراني ان القول لا اكراه في الدين (البقرة آية ٢٥٣) ناسخٌ للاكراه واليس ان بعض علمائنا يفسّرونها انها اخبارٌ بمعنى النهي اى لا تكرهوا في الدين (راجع باب ٢ وجه ٢٣) والّا ما الداعي لانزالها وقد كان سالف محمد في الانبياء عيسى ابن مريم المشهور بالدعة والحلم والاحسان الى الناس سواء المقتصر في دعوة الملا على المحبة والاعمال الخيرية الموصي حواريّهُ وامتهُ بحب الاعداء ومعاملة ذوي الاساءة بالاحسان واهل الغلظة بالرفق والاناة فلو ان عيسى عليهِ السلام جاء مكرهاً الناس الى الدين وعقبهُ ارسال محمد رحمةً للعالمين لكان ذلك داعياً للقول لا اكراه في الدين تحريرًا لهُ من اتّباع خطة عيسى في الاكراه اى يا محمد لا تحذو حذو سالفك عيسى باكراهِ الناس الى الدين انت رسول اللهِ الى الناس وما على الرسول الّا البلاغ ولمّا لم يكن عيسى مُكرِهًا بستمان ان الآية نهي لمحمد عن الاكراه وعليهِ فهي ناسخة لا منسوخة وما تزيد المسئلة جلاءً الآية "افانت تكره الناس حتى يؤمنوا وما كان لنفسٍ ان تؤمن الّا باذن الله" الخ

الآية (١) فكيف يعلّل عن الباعث لانزال هذه وتلك الآ وكان محمد ابتداء بالاكراه او نوبه فاقتضى انزالها نهيًا اليه وردعاً لهُ عن نهج هذا المنهج واذا كان الله ينهى محمداً عن الاكراه والاعتداء مبينًا انه تعالى ما ارسله الا لمثل ذلك كما قد رابت فى مجمل الآيات الواردة فى ذلك الباب ينتج من ذلك ان نسخها وابدالها بايآت الاكراه كما يزعمون خلاف والتواة عديم المثال لانها اى الآيات المتقدمة ما هى الا نهيٌ عمّا جالَ بهِ خاطر محمد او شرع بهِ واذا نُسِخَ هذا النهى بالمنهي عنهُ يكون ذلك عبارةً عن حرب قائمة على قدمٍ وساق بين آيات القرآن كانه من ضدين لا يجتمعان وعليهِ يسوغ ان يقال حين اختلج فى صدر محمد حب الاكراه والجزاء او الشرع فى اتخاذ وسائله اتت الآيات الناهية لهُ عن ذلك فاوقفت العمل الى انهُ لم يَعُد فى وسعهِ وجلدهِ الاقتصار على البلاغ والانذار والوقوف على حدود الآيات الناهية ولما لم تكن فى وسعهِ اجتياز تلك الحدود الا بمسوغٍ شرعي كانت الآيات الناسخة لذلك النهي فاصبح من ثم المنهي عنه ماموراً بهِ وغير النافع ولا مفيد نافعاً وواجبا وبعد فاي تضاد واختلاف اعظم ممّا بين القول "لا اكراه فى الدين" والقول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (٢) والقول وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين (٣) والقول "فاذا انسلخ الاشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" (٤) وايضاً. فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدّوا الوثاق الى اخر الآية (٥) والقول "وقل للذين أُوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولّوا فانما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد (٦) والقول قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون (٧) والقول" لا تطع الكافرين المنافقين ودع اذاهم وتوكّل على الله وكفى بهِ وكيلاً (٨) والقول ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليّا ولا

---

(١) يونس آية ٩٧ و ٩٨ (٢) البقرة آية ١٨٨ (٣) البقرة آية ١٨٥ (٤) التوبة آية ٥ (٥) محمد آية ٤ (٦) ال عمران آية ١٨ (٧) التوبة آية ٢٨ (٨) الاحزاب آية ٤٥

نصيراً (١) وايضاً يا ايها النبي جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير (٢) والقول وما ارسلناك الاّ بشيراً ونذيراً "(٣) وايضاً فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٤) وما انت عليهم بوكيل (٥) والقول" فقاتل في سبيل الله لا تكلّف الا نفسك وحرّض المؤمنين (٦) وايضاً يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكون منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين (٧) الى غير ذلك مما يمنعنا عن ذكره ما ذكر

وبعد فانهُ هرباً من القول بالتناقض والخلاف قيل هو ناسخٌ ومنسوخ اى ابطال حكم سابق بحكم تالي بداعي ان الحكم السابق كان من منزلهِ الى اجل معلوم. فحين بلغ اجلهُ اقتضى نسخهُ وابدالهُ بحكمٍ آخر موافق لحالة الاسلام واذا طولبوا بالبرهان قالوا البرهان انما هو انزال الآيات الناسخة وهو كما لا يخفى لبس برهانا البتة من وجهين (الوجه الاول) هو احتياج هذه الآيات الى البرهان كونها من عند الله (الوجه الثاني) كونها امرٌ بما قد سبق النهي عنه في تلك الآيات المزعوم نسخها غير ان المعتبرين ان كل كلمةٍ في مصحف القرآن هي من عند الله سواءٌ وافقت حكم العقل ام لا يعتبرون التناقض وهو ما يسمونه الناسخ دليلاً على انقضاء اجل المنسوخ. لكن اذا سألتهم بل اذا سألوا انفسهم وكانوا من ذوي الاخلاص ما هو الناسخ والمنسوخ عجزوا عن بيانها حق البيان لما يرون في المزعوم نسخه قوة النسخ لما زعموه ناسخٌ لهُ كما في آية لا اكراه في الدين واخواتها كما قد رأيت مما مرّ فلا اقدر اصدق ان ذوى النبالة من المسلمين تسلم عقولهم بوقوع النسخ على مثل هذه الآيات الناهية والرادعة قطعًا ونهيًا عن القتال واتخاذ وسائل الاجبار والاكراه فكم بالحرى غير المسلمين الذين يرون ان التغير في النفس غيّر في القول والميل الى ابدال المنهج ابدل الحكم والنزع الى الغزو والغنائم نسخ آيات السلم بآيات القتال واحال رجل الدعة والسكينة الى رجل الغارات والبطش والمبشر النذير الى قاهرٍ وما نزيد ذلك تأييداً هو سبق الفعل للنسخ لا النسخ للفعل اى تعدى الحكم قبل نسخهِ وصيرورة ذلك التعدي وسيلةً لنسخ المتعدّى عليهِ كما ترى في مسألة سريّة عبد الله ابن جحش الاسدى الى نخلة فان الآية الناسخة للآية

---

(١) النساء آية ٨٨ (٢) التوبة آية ٧١ والتحريم آية ١١ (٣) اسرائيل آية ١٠٤
(٤) الرعد آية ٤٠ (٥) شورى آية ٤ (٦) النساء آية ٨٣ (٧) الانفال آية ٦٥

المانعة عن القتل في الاشهر الحرام التي هي "يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل فيه قتالٌ كبير الى آخر الآية" انما كانت بعد ارتكاب عبد الله المذكور القتل في الشهر الحرام واعطاء خمس السلب لمحمد وتعيير قريش محمداً بارتكاب سريّته القتل في الشهر الحرام وقع ذلك في قلوب أصحابه (١) فالناسخ هنا تابعٌ لا متبوع فتأمّل ويماثل ذلك عدّة من الآيات منها ما كان اتباعاً للرغائب كما في مسئلة تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة زعموا ان النبي كان يتمنى من الله تحويل القبلة الى حرم مكة فكانت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنوليّنّك قبلةً ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطرهُ (٢) فانظر لان محمداً اذ لم يكن راضياً بيت المقدس قبلةً للعرب بل كان يودّ ابداله بحرم مكّة لدواعٍ سياسيّة كانت الآية وفق مرامه. وكذا آية زواجه بزينب امراة زيد فانها ما نزلت الاّ بعد ان نظر تلك المرأة ووقعت في قلبه فقال سبحان الله مقلب القلوب وودّ التزوج بها لو وجد الى ذلك سبيلاً ينزّههُ عن العار فنزلت الآية بسواغ ذلك له وهي واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتقِ الله وتخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشى الناسَ والله احق ان تخشاه فلما قضى زيدٌ وطرًا منها ازوجناكها الى آخر الآية (٣) ومنها ما كان مجاراةً لضعف القوم بخيانتهم حكم الله في الصوم كما ترى في آية "أُحِلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هنّ لباس لكم وانتم لباس لهنّ علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهنّ" الى اخر الآية زعموا ان مجامعة النساء كانت محرمة ليلة الصيام على المسلمين كما على اهل الكتاب قبلهم بداعى الآية "كُتِب عليكم الصيام كما كُتِب على الذين قبلكم" وذهب آخرون ان وقاع النساء كان جائزًا ليلة الصيام بشرط ان لا ينام الرجل وان لا يصلّي العشاء الاخيرة فاذا فعل احدهما حُرِم عليه ذلك وانهُ حدث ان جماعةً من المسلمين منهم عُمَر ابن الخطّاب خانوا بذلك بان اتوا نسائِهم بعد صلاة العشاء الاخيرة حتى قال محمد لعُمَر لم تكن جدرا بذلك يا عُمَر

---

(١) انظر السيرة النبوية المكية وجه ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ والرازى مجلد ٢ وجه ٣١٨ (٢) الرازى مجلد ٢ وجه ٢٠ (٣) الرازى مجلد ٦ وجه ٧٨٥ وبيضاوى مجلد ٢ وجه ٢٧٣ و ٢٧٤

فنزلت الآية والقول فيها انكم كنتم تختانون انفسكم اى ترتكبون الخيانة بالجماع ليلة الصيام (١) ومنها ما كان حَلاًّ لما حرّم محمد عليهِ وتحِلّة لايمانهِ بتحريم ذلك وهو "يا ايها النبي لِمَ تحرِّم ما احلّ الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والله غفورٌ رحيم قد فرض الله لكم تَحِلّة ايمانكم والله مولئكم وهو العليم الحكيم" (سورة تحريم آية ١ و ٢) زعموا ان سبب نزول هذه الآية هو أن محمداً واقع زوجتهُ مارية القبطية في بيت زوجته حفصة ابنة عُمَر الخطاب وهي غائبة فجاءت فشق ذلك عليها. فارضاها وسألها الكتمان وذلك انهُ قال لها أكتمي عليّ وقد حرّمتُ مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعُمَر بملكان بعدى امرأمّتي وان حفصة اخبرت عائشة بذلك ولما لم تكتم امرهُ طلقها واعتزل نساءهُ تسعة وعشرين يوماً حتى كما قيل نزل جبرائيل وامره بمراجعتها بداعي انها صوّامة قوّامة وقال مسروق حرم النبي صلى الله عليه وسلم ام ولده (يعني مارية) وحلف انه لا يقربها فانزل الله تعالى هذه الآية فقيل له اما الحرام فحلال واما اليمين التي حلفت عليها فقد فرض الله لكم تَحِلّة ايمانكم (٢) فانظر انه حرّم واثبت التحريم بالايمان وطلّق وكأنهُ لما راى ان لا ذنباً لمارية يوجب تحريمها عليهِ وعدم مناسبة طلاق بنت عمر الخطّاب وتضايق من جرى ذلك ولا يليق بالنبي المشترع ان يحلّ الحرام ويَحنُث بالايمان ويراجع المطلّقة بدون مسوغٍ شرعي. وزوجة النبي لا تجوز لآخر كانت الآية من جهة تحليل مارية ونزول جبرئيل لمراجعة حفصة ومنها ما كان تبرئةً لفعلٍ أنكِر على محمدٍ فعلهُ كما ترى في غزوة بني النضير (قبيلة يهود بجوار يثرب) اذ كان محمد في اثناء محاصرته اياهم يقطع نخيلهم فنادوهُ من الحصون يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبهُ على من صنعهُ فما بال قطع النخل وتحريقها اهو افسادٌ ام اصلاح فارتاب بعض اصحابهِ بجواز هذا الفعل وتأثّروا من اعتراض بني النضير قيل فنزلت من ثم الآية "ما قطعتم من لينةٍ (اللينة النخلة التي تمرها من دون نواه) او تركتموها قائمةً على اصولها فباذن الله وليُجزي الفاسقين" (٣) ومنها ما كان بياناً لعدم جواز فعلٍ صدر من محمد وهو صلاته على جثة المنافق

---

(١) رازى مجلد ٢ وجه ١٩٧–٢٠١ (٢) رازى مجلد ثامن وجه ٢٣١ و ٢٣٢ والجلالين جزء ثاني وجه ٢٤٤ (٣) السيرة النبوية جزء اول وجه ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥

(المؤمن ظاهراً والكافر باطناً) عبد الله ابن ابى سلول ونهياً له عن اتيانه مثل ذلك فيما بعد اذ زعموا ان الآية "ولا تصلِ على احدٍ منهم مات ابداً ولا تقم على قبرهِ انهم كفروا بالله ورسولهِ وماتوا وهم فاسقون" نزلت غب فراغ محمد من الصلاة على المذكور واقامتهِ على قبرهِ حتى نهاية دفنه وقالوا ان عمراً مانع محمداً من الصلاة على المذكور بداعي نفاقه فلم يمتنع فنزلت الآية مِصداقاً لراى عُمَر كعِدّة آيات غيرها مثل آية تحويل القبلة المتقدم ذكرها وآية الحجاب للنساء وآية تحريم الخمر(١) فتأمَّلْ حفظك الله كيف كانت الرغائب والاميال والافعال والآراء مغنطيساً جاذباً لتلك الآيات المجاربة. لعمرك هل رأيت لذلك نظيراً فى التوراة ان الله نسخ حكماً من احكامهِ واحلّ حراماً من حرامهِ تبريةً للمتعدى اوللخائن او انزل شرعاً تباعاً لرايِ بشر ومجاراةً لاميالهِ ومراعاةً لرغائبهِ فرداً كان او جماعة نبيّاً او ملكاً بل بالحرى ايٌّ خان او تعدّى حدود الشرع كان يُنزِل تعالى آياتهِ تبكيتاً لذلك المتعدى وكثيراً ما كانت تنزل آيات الله ردعاً لقصد الفاسد وميله لاجراء امر غير مرضيٍّ لله او ليس هو وفق الشرع قبل خروج تلك النوايا الى حيز الفعل فما ابعد هذا عن ذاك

وبعد فان كلّاً من الناسخ والمنسوخ باقٍ فى المصحف فمسكين المسلم السليم الطويّة المخلص النيّة الذى يتلو هذه وتلك بُكْرَةً وعشيّة على غاية الوقار والخشية وهو جاهلٌ ايهما باقٍ وايّهما ملغى فانه لا محالة يوخذ بالحيرة والربكة من تجاذب الآيات اياهُ من طرفيِ نقيضين فكأنى بهِ وهو فى موقف التردد والتحيّر يقول آه وآسفاه لِمَا هذا التباين والتضاد فى القرآن أهو من مصدرين ضدّين كلا وحاشا هو من عند الله الواحد الاحد اذاً ما ذا واين الحل لهذا الاشكال الغريب اني اخال حكم السلم فيه مكيناً مؤيّد لقولهِ عزّ وجلّ انه ما بَعَث نبيّاً وارسله الا للتبشير والانذار ولا مكرهاً ولا مجبراً لانهُ تعالى يقول لا اكراه فى الدين وينهى محمدًا عن مثل ذلك بآياتٍ بيناتٍ مثل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لست على الناس بحفيظٍ او وكيل ليس عليك الا البلاغ قبلوا او تولّوا عليك البلاغ وعلينا الحساب وذلك لا جرم لطف من الله ورفق بالعباد كمنهاج عيسى وحوارييهِ الاطهار وهل آلله براجعٍ عن قوله وناقضٍ لحكمهِ وهو العليم الرحيم كلّا وحاشا ولو انه سبحانه ارسل محمداً صلى الله عليهِ

---

(١) رازى مجلد رابع وجه ٧٠٦ والسيرة النبويّة جزء ثاني وجه ١٥٩ و ١٦٠

وسلم لقتال المشركين واكراههم على الدين أكان انزل عليهِ مثل هذه الآيات المنافية لذلك والغير القابلة النسخ والنقض أما كان تعالى أكتفى بانزال آيات الجهاد والقتال وهو القادر على نصر رسولهِ في كل حال فما هذا الاشكال الذي لا أرى الى حلّهِ من سبيل ما ذا اعمل ولاي جهتي القولين اميل أأ احترم الآيات كالقانون للايمان والعمل ومنها مُبطَلٌ وقائم وناقض ومنقوض لا حولَ ولاَ . . . .

ثم اقول لا بَدْعَ ان ياخذ قارئ القرآن العجبُ من الدعوى بسلامته من الاختلاف بقول الآية "ولو كان من عند غير الله لوجد فيه اختلافاً كثيراً" ويزيده تعجّباً واندهالاً عدم اعتبار أيّمة الاسلام وعلمائهِ الناسخ والمنسوخ فيه اختلافاً كأَنّ حسبان ذلك عدم اختلاف قضيّةٌ بدبهيّة لا تقبل جدال مكتفين بالبحث فيما يعدّهُ بعضهم اختلافاً من حيث اللغة والركاكة في بعض الالفاظ والتكرار غير المفيد وايضاح الواضح الي غير ذلك كما قد رايت فيما مرّ في الباب الأول (وجه ١٣ و ١٤ و ١٥) فنسألهم آلاَ ان الآيات الناسخة خلاف للمنسوخة والمنسوخة ضُدّ الناسخة فما ذا يا مسلمُ تسمى هذا التباين والتضاد هلاّ ترى فبئتى الآيات في هذا الباب مختلفتين متضادتين بَلَى اذاً القرآن فيهِ اختلاف كثير فهو اذاً من عند مَن. نترك ذلك لحكمتك وانصافك هداكَ الله محجة الصواب وان انصفت أَجْزَلَ لك حسن الثواب

الباب الرابع

في الآيات المبيّنة كون الكتاب التوراة والانجيل
لم يعترها تغيير ولا تحريف لفظي

ولا تُلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون" (البقرة آية ٣٩)

(التفسير) لا تُلبسوا الحق بالباطل امرٌ بترك الإغوا والإضلال واعلم ان اضلال الغير لا تحصل الّا بطريقين وهو امّا ان كان سمع دلائل الحق فاضلاله لا يمكن الّا بتشويش تلك الدلائل عليه وان كان ما سمعها فاضلاله انما تكون باخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول اليها فقولهُ ولا تلبسوا الحق بالباطل اشارةٌ الى القسم الاوّل وهو تشويش الدلائل عليه وقولهُ وتكتموا الحق اشارة الى القسم الثاني وهو منعهُ من الوصول الى الدلائل واعلم ان الاظهر في الباء التي في قولهِ بالباطل انها باءُ الاستعانة والمعنى ولا تلبسوا الحق بسبب الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك لأن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في امر محمد عليكم كانت نصوصًا خفيّة يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين منها بسبب القاء الشبهات فهذا هو المراد بقولهِ ولا تُلبسوا الحق بالباطل (رازي مجلد اول وجه ٣٦٥)

وتفسيرها في البيضاوي هو "ولا تُلبسوا الحق بالباطل" اللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيءُ مُشتبهًا بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المُنزَل عليكم بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونهُ حتى لا يُميّز بينهما او لا تجعلوا الحق مُلتبسًا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونهُ في خلالهِ او تذكرونهُ في تأويلهِ "وتكتموا الحق وانتم تعلمون" كانهم أُمِروا بالايمان وترك الضلال ونُهوا عن الاضلال بالتلبيس على

من سمع الحق والاخفاءُ على من لم يسمعهُ اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانهِ وانتم تعلمون عالمون بانكم لابسون كاتمون فانهُ اقبح اذ الجاهل يُعذر (مجلد ١ وجه ٧٦ و ٧٧)

وفي الجلالين تخلطون الحق الذى انزلتُ عليكم بالباطل الذى تغيرونهُ وتكتمون الحق نعت محمد وانتم تعلمون (جزء اول وجه ٩)

(ملاحظات) انك ترى اتفاق هولاءِ المفسرين العظام لهذه الآية ان التلبيس والكتمان كان بالتأويل والاخفاء فيستحقون منّا على ذلك طيب الثناء وعليهِ فنقول اذا كان اهل الكتاب وهم يعلمون امر محمدٍ فى كتابهم اي نعتهُ وصفتهُ (كما سترى فى تفسير الآيات التالية) ولم يقدموا ولا اسلافهم على نزع ذلك منه او تحريفهِ فقط اقتصروا على تشويش تلك الدلائل على السامع واخفائها عن غير السامع ينتج من ذلك انهم كانوا أُمناء على كتابهم كما انزلهُ تعالى . وان قول بعض عامة المسلمين بتحريف الكتاب لفظًا هو لقول ساقط لا يستحق ان يُعار شيئًا من الاعتبار

"أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونهُ من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" (البقرة آية ٧٢)

(التفسير) فى تفسير هذه الآية آراءٌ و وجوهٌ كثيرة نجتزي بذكر اشهرها مُلخصًا زعموا ان محمداً واصحابهُ طمعوا فى اقتياد يهود المدينة الي الاسلام كما يروون ان محمداً حين دخل المدينة ودعى اليهود الى كتاب الله وكذبوهُ انزل الله تعالى هذه الآية واختلفوا فى الفريق منهم فمنهم من قال هو مَن كان فى ايام موسى ومنهم بل المراد بالفريق من كان فى زمن محمد عليهِ الصلاة والسلام والامام الرازى يقول ان هذا اقرب لان الضمير فى قولهِ تعالى "وقد كان فريق منهم" راجعٌ الى ما تقدم وهم الذين عناهم الله تعالى بقولهِ "افتطمعون ان يؤمنوا لكم" واختلفوا فى كلمة ثم يحرفونه فقال بعضهم ان التحريف امّا ان يكون فى اللفظ او فى المعنى وحمل التحريف على تغيير اللفظ اولى من حملهِ على تغيير المعنى . . . وان لم يكن ذلك فيجب ان يُحمل على تغيير

تأويله وان كان التنزيل ثابتاً وانهُ يمتنع ذلك اذا ظهر كلام الله ظهوراً متواتراً كظهور القرآن فامّا قبل ان يصير كذلك فغير ممتنع تحريف نفس كلامهِ . . . الى ان يقول واما ان قلنا بان المحرفين هم الذين كانوا فى زمن موسى عليهِ السلام فالاقرب انهم حرفوا ما لا يتصل بامر محمد (صلعم) وامّا ان قلنا المحرّفون هم الذين كانوا فى زمن محمد (صلعم) فالاقرب ان المراد تحريف امر محمد وذلك امّا انهم حرفوا نعت الرسول وصفتهُ او لانهم حرفوا الشرائع كما حرّفوا آية الرجم وظاهر القرآن لا يدلّ على انهم اى شيءٍ حرفوا "من بعد ما عقلوهُ وهم يعلمون" فلقائل يقول قوله تعالى عقلوهُ وهم يعلمون تكرارٌ لا فائدة فيهِ اجاب القفّال عنه من وجهين (الاول) من بعد ما عقلوا مراد الله فأوّلوه تاويلاً فاسداً يعلمون انه غير مراد الله تعالى (الثاني). انهم عقلوا مراد الله تعالى وعلموا ان التأويل الفاسد يكسبهم الرزّ والعقوبة من الله تعالى (رازى مجلد اول وجه ٥٧٣-٥٧٦)

وتفسيرها فى البيضاوى هو فريق منهم طائفة من اسلاف اليهود "يسمعون كلام" يعني التوراة "ثم يحرفونهُ" كنعت محمد وآية الرجم او تأويله فيفسرونهُ بما يشتهون "من بعد ما عقلوه" اى فهموه بعقولهم ولم يبقى لهم فيهِ ريبة "وهم يعلمون" انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هولاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهّالهم وانهم وان كفروا وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (مجلد اول وجه ٩١)

(ملاحظة) انه وان يكن ما قد تقدم فى الآية الاولى وتأويلها كافياً لبيان عدم تحريف الكتاب لا بد لنا من الملاحظة على كل آيةٍ ترد فى هذا الباب لتنوع الآيات وتلون تفسيرها. انك ترى ان كلا الرازى والبيضاوى متفقان على ان التحريف المذكور بالآية انما هو التاويل الفاسد والاخفاء ويختلفان فى ذلك الفريق المحرّف فان الرازى يذهب انهُ كان فى زمن محمد والبيضاوى انهُ طائفة من اسلاف اليهود معاصرى محمد فسواءٌ كانوا يهود زمن محمد او اسلافهم المسئلة واحدة من جهة التحريف وهى انهم كانوا يحرفون كلام الله بتأويلهِ او اخفائهِ كما فى مسئلة آية الرجم لا بتغيير و تبديل الالفاظ فى مواضعها حسبما ذهب بعضهم اى امكان وقوع ذلك قبل ظهور كلام الله ظهوراً متواتراً الذي سنبين بطلانه فيما يأتي

"ولمّا جاءهم رسول من عند اللّٰه مصدّق لما معهم نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب اللّٰه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون" (البقرة آية ٩٧)

(التفسير) خلاصتهُ ان المنبوذ من الذين أُتوا الكتاب هو التوراة فان قيل كيف يصحّ نبذهم للتوراة وهم يتمسّكون بهِ قلنا اذا كان يدلّ على نبوة محمد عليهِ الصلاة والسلام لما فيه من النعت والصفة وفيه وجوب الايمان ثم عدلوا عنه كانوا نابذين للتوراة امّا قولهُ تعالى "كانهم لا يعلمون" فدلالة على انهم نبذوهُ عن علم ومعرفة لانهُ لا يقال ذلك الّا فيمن يعلم فدلّت الآية من هذهِ الجهة على ان هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوتهِ الّا انهم جحدوا ما يعلمون (الرازي مجلد اول وجه ٦٣٤ و ٦٣٥)

وتفسيرها من الجلالين "رسول من عند اللّٰه" محمد صلى اللّٰه عليه وسلم الكتاب التوراة نبذوها اى لم يعملوا بما فيها من الايمان بالرسول وغيرهِ كأنهم لا يعلمون من انهُ نبيّ حق او انها كتاب اللّٰه (جزء اول وجه ١٦ و ١٧)

(ملاحظة) انك ترى والحمد للّٰه ان كل آيةٍ فى هذا الباب مصداق لما سلفها بعدم تحريف الكتاب فان هذه الآية المؤوّلة تعلن لذى البصيرة ان نبذ بعض اهل الكتاب كتاب اللّٰه وراء ظهورهم انما هو عدولهم عمّا تضمّن من الدليل على نبوة محمد حسبما يزعمون او جحود ما هم يعلمونهُ من هذهِ الحيثية لا نزعهُ من كتابهم فكأن محمداً لمّا أكّد عدم تحريف اهل الكتاب كتابهم رشقهم بالتلبيس والكتمان والنبذ اى التأويل الفاسد لتشويش الدلائل والكتمان والعدول والاغضاء عن ما يرونهُ فى كتابهم من الدلالة عليهِ وهو أكفى بيان لاهل القرآن على عدم مس الكتاب بتحريفٍ ما

"ان الذين يكتمون ما انزل اللّٰه من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولائك ما ياكلون فى بطونهم الّا النار ولا يكلمهم اللّٰه يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم" (البقرة آية ١٧٠)

(التفسير) زعموا ان هذه الآية نزلت في اليهود قال ابن عباس نزلت هذه الآية في روساء اليهود ككعب ابن الاشرف وكعب ابن اسد ومالك ابن الصيف وحيي بن اخطب وابي ياسرابن اخطب كانوا ياخذون من اتباعهم الهدايا فلما بُعث محمد عليه السلام خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا امر محمد عليه السلام وامر شرائعه فنزلت هذه الآية واختلفوا في انهم اي شيء كانوا يكتمون فقيل كانوا يكتمون صفة محمد (صلعم) ونعته والبشارة به وهو قول ابن عباس وقتادة والسدى والاصم وابو مسلم واختلفوا في كيفية الكتمان فالمروى عن ابن عباس انهم كانوا محرفين يحرفون التوراة والانجيل وعند المتكلمين هذا ممتنع لانهما كانا كتابين بلغا في الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان فيهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد عليه السلام وكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد فهذا هو المراد من الكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب (الرازي مجلد ثاني وجه ١٣٢ و ١٣٣)

وتفسيرها في الجلالين هو ان الذين يكتمون من التوراة نعت محمد وهم اليهود ويشترون بهِ ثمناً قليلاً من الدنيا ياخذونه بدلهُ من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوتهِ عليهم يكون مآلهم النار (جزء اول وجه ٢٨)

(ملاحظة) لك في تأويل هذه الآية امران خطيران (الاول) ان تحريف التوراة والانجيل مُمتنع لبلوغهما مبلغ الشهرة والتواتر بحيث يتعذر ذلك فيهما (الثاني) كتمان المعاني من آيات الكتاب بتأويلها تأويلا فاسداً بصرفها عن محاملها الصحيحة فهذان الامران هما فصل الخطاب على ان اهل الكتاب ليس فقط لم يقدموا على تحريف كتابهِ تعالى بل كانوا أمناء على حفظ آياتهِ كما أُنزلت واذا كان علماءُ اليهود واشرافهم كانوا حسب الآية وتأويلها يكتمون ما في التوراة من صفة ونعت محمد والبشارة بهِ خوفاً من سقوط اعتبارهم في عيون العامة وانقطاع المنافع الجارية عليهم يتضح من ذلك ان القوم لم يتجرأوا على تحريف آيةٍ من كتابهم وربما لم تخطر لهم ذلك ببال فلم يبقَ لهم حسب تأويل الآية الا الكتمان وهو اما كتمان الكلمات حسب تأويل الآيات المتقدمة او كتمان المعاني حسب تأويل هذه الآية واذا كان علماءُ الاسلام

بعد محمد ادركوا مراد الآيات هكذا فكم بالاولى محمد عَلِمَ سلامة الكتاب من التحريف فقال "يا اهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون" اى تنكرونها على من لم يسمعها وانتم عالمون بها شاهدون لها

"يا اهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون" (آل عمران آية ٦٨)

(التفسير) فى قوله بآيات الله وجوه خلاصتها (الاول) المراد منها الآيات الواردة فى التوراة والانجيل المبشرة بمحمد عليه السلام (الثانى) انهم كانوا كافرين بنفس التوراة لانهم كانوا يحرفونها وكانوا ينكرون وجود تلك الآيات الدّالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وامّا قولهُ وانتم تشهدون فالمعنى على هذا القول انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اذا خلا بعضهم مع بعض شهدوا بصحتها ومثلهُ قوله تعالى تبغونها عِوَجاً وانتم شهداء (الرازى مجلد ثانى وجه ٧٠٨)

(ملاحظة) يُفهَم من هذه الآية وتاويلها ان اهل الكتاب لم ينسخوا من كتاب الله الآيات التى يزعم محمد انها تعنيه و تُبشِّر بهِ ولا انهم حرّفوها لانهم حسب الآية كانوا يكفرون بها اى ينكرونها وهم يشهدونها فى كتابهم وذلك لا يُبقى محلًّا لتهمة اهل الكتاب بتحريف كتابهم ولو كان من شيمتهم تحريف الكتاب لكانوا بالاولى ازالوا منه تلك الآيات المزعوم انها انباءٌ عن محمد وبشرى بهِ او بدّلوها عوض انكارهم اياها وهم يشهدونها ولانهم لمّا لم يفعلوا ذلك يتضح انهم كانوا محافظين بكل حرصٍ واعتناءٍ على سلامة الكتاب كما انزل من عند الله

"وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" (آل عمران آية ٧٧)

(التفسير) ان هذه الآية نازلة في حق اليهود وهي معطوفة على ما قبلها واعلم ان اللّي عبارة عن عطف الشيء وردّه عن الاستقامة الى الاعوجاج و ذهب بعضهم بان اللّي باللسان عبارة عن تحريف اللفظ في حركات الاعراب الى ان يقول بقي ههنا سوألان (السوأل الاول) الى ما ذا يرجع الضمير في قوله لتحسبوهُ الجواب الى ما دلّ عليه قولهُ يلوون السنتهم وهو المحرّف (السوال الثاني) كيف يمكن ادخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس الجواب لعلّهُ صدر هذا العمل عن نفرٍ قليل يجوز عليهم التواطوء على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المُحرّف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون التحريف ممكناً والاصوب عندي (الرازي) في تفسير الآية وجه آخر وهو ان الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليهِ وسلم كان يحتاج فيها الى تدقيق النظر وتأمّل القلب والقوم كانوا يوردون عليها الاسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مُشتبِهَة على السامعين واليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناهُ لا ما ذكرتم فكان هذا هو المراد بالتحريف وبلّي الالسنة وهذا مثل ما ان المُحِقّ في زماننا اذا استدلّ بآيةٍ من كتاب الله تعالى فالمُبطِل يورد عليهِ الاسئلة والشبهات ويقول ليس مراد الله ما ذكرت فكذا في هذه الصورة (مجلد ثاني وجه ٧٢٠ و ٧٢١)

وتفسيرها في الجلالين هو وان منهم اي اهل الكتاب لفريقًا طائفة ككعب ابن الاشرف يلوون السنتهم بالكتاب اي يعطفونها بقراءتهِ عن المُنزّل الى ما حرّفوهُ من نعت النبي ونحوهِ لتحسبوه اى المحرّف من الكتاب الذى انزلهُ الله وما هو منهُ ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون (جزء اول وجه ٦٤)

(ملاحظة) ان هذه الآية بيّنة المعنى الى حَدٍّ تستغني به عن التأويل وهي من نوع الآية سالفتها بينة نوع تحريف بعض اليهود للتوراة وهو لفظ الكلام باللسان بخلاف ما هو في التوراة لان هذا الفريق كان على حسب الآية يعلم انهُ بذلك يقول الكذب على الله او هو يعلم ان آيات التوراة خلاف ما يقول وهذا ايضاً دليل راهن على عدم اقدام اهل الكتاب على تحريف كتابهم وانا نثني على الامام الرازي ونمدح ذكائهُ انهُ لم يخرط نفسهُ في سلك اهل الغباوة كالذين يجيبون على السوال الثاني في تفسير الآية بقولهم الواهن

السخيف لعلّهُ صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطوء على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرّف على بعض العوام و على هذا التقدير يكون التحريف ممكنًا فنجيب مثل هولاء اولاً انه لا يعوّل على قصبة مبنيّة على لعلّ وربما لخلوها من الدليل والبرهان (ثانياً) لان تعديرهم هذا يُطلق بالاولى على جامعي القرآن فما وجّهوه على اهل التوراة تحت لعلّ يتوجّه طبعاً على اهل القران لان جامعيه كانوا نفرًا قليلاً (ثالثاً) نسألهم من هم ذلك النفر القليل الذى حسب زعمهم لعلّ صدر عنهم تحريف التوراة فليبينوهُ لنا ان قدروا أبهذا المقدار تجهلون تاريخ بني اسرائيل حتى لا يعلمون ان موسى قبل ان أنزلت عليهِ التوراة كان تحت رياسته وقيادته نحو المليونين منهم وقد كتب لهم التوراة وكانت تتلى عليهم فى حياته مدة الاربعين سنة وقد وليهُ يشوع ابن نون وعدد من الانبياء هم أصحاب الاسفار النبوتة اذاً لعلّهم هذه لا محل لها وشهرة التوراة وتواترها تمنع ادخال التحريف فيها ويكفينا مودّى المتكلمين فى تأويل هذه الآية ان هذا الفريق المشار اليه فيها كانوا يحرفون الآيات بالسنتهم لالوائها او ردها من استقامتها او جعلها مشتبهة على السامعين بالاسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة وان هذا هو المراد بالتحريف وليّ الالسنة فتأمّل

"وان اخذ اللّه ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننهُ للناس ولا تكتمونهُ فنبذوهُ وراء ظهورهم واشتروا بهِ ثمنا قليلا فبئس ما يشترون" (آل عمران آية ١٨٣)

(التفسير) خلاصتهُ ان أمتي موسى وعيسى لابناء محمد كانوا يكتمون ما فى التوراة والانجيل من الدلائل الدالة على نبوتهِ فكانوا يحرفونها او يذكرون لها تأويلات فاسدة والمراد من النهى والكتمان ان لا يلقوا فيها التأويلات الفاسدة والشبهات المعطّلة (الرازى مجلد ٣ وجه ١٦٨ و ١٦٩)

وتفسيرهُ فى الجلالين هو ان اللّه اخذ العهد على بنى اسرائيل فى التوراة التى اتاهم لتبينوه للناس ولا تكتمونهُ او ولا تكتمونه (قرائتين) فطرحوه ولم يعلموا بهِ آخذين بدلهُ ثمنًا قليلاً من سفلتهم برياستهم فى العلم فكتموهُ خوف فوته عليهم فبئس شراؤهم هذا (جزء اول وجه ٧٨)

(ملاحظة) انا لا نرى محمدًا يطعن البتة بسلامة الكتاب التوراة والانجيل ولا يسمّي اليهود والنصارى الّا اهل الكتاب وقط لم يقل لهم ان هذه التوراة ليست هي التى انزلت على موسى وهذا الانجيل ليس هو الذى انزل على عيسى كما يهذر بعض جُهّلاء المسلمين فى هذا العصر انما فقط يرميهم بالتلبيس والكتمان والاخفاء للدلائل التى يزعم انها تدلّ على نبوته وتبشّر بهِ كما يقول الامام فى تفسير الآية السالفة وهو ان الآيات الدالة على نبوة محمد (صلعم) كان يحتاج فيها الى تدقيق النظر وتأمّل القلب والقوم (يعنى اهل الكتاب) كانوا يوردون عليها الاسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فينتج من ذلك امران الاول ان ليس لمسلم ان يرمي اهل الكتاب بتحريفهم كتابهم (الثانى) ان ذلك يوجب عليهِ اقتناء التوراة والانجيل الكائنين بيد اليهود والنصارى والانعكاف على دراستهما ككتاب الله بتدقيق النظر والتأمّل والاحترام وعليهِ فيكون المعوّل عليهِ فى الاستدلال على نبوة محمد الكتاب المقدس الكائن بيدى الطائفتين المذكورتين وليس ذلك فقط بل يلزم المسلم الاخذ بما فيهِ والقيام بهِ

"من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعهِ ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًا بالسنتهم وطعنًا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الّا قليلاً" (النسا آية ٤٤)

(التفسير) نقتصر فى ذلك على جملة يحرّفون الكلم عن مواضعهِ. فى تفسير هذه الجملة رايان او مذهبان احدهما انهم كانوا يبدّلون اللفظ بلفظٍ آخر مثل تحريفهم اسم ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طويل مكانهُ فان قيل كيف يمكن هذا فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفهِ وكلماتهِ مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب قلنا لعل يُقال القوم كانوا قليلين والعلماء بالكتاب غايةً فى القلّة فقدروا على هذا التحريف والثانى ان المراد بالتحريف القاءُ الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيَل اللفظيّة كما يفعله اهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة

لمذهبهم وهذا هو الاصح ومن الآراء فى ذلك انهم كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن امر فيفسرهم ليأخذوا به فاذا خرجوا من عنده حرّفوا الامة (الرازى مجلد ٣ وجه ٣٣٧ و ٣٣٨)

وتفسرها فى الجلالين "يحرّفون الكلم عن مواضعه" اى يبدلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنىً بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده (مجلد اول وجه ٢٢٨)

"يحرفون الكلم عن مواضعه" (سورة المائدة آية ١٣)

(التفسير) يحرفون الكلم عن مواضعه اى من بعد ان وضعه الله مواضعه اى فرض فروضه واحل حلاله وحرّم حرامه قال المفسرون ان رجلاً وامرأة من اشراف خيبر زنيا وكان حد الزنا فى التوراة الرجم فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فارسلوا قوما الى رسول الله (صلعم) يسألونه عن حكمه فى الزانيين اذا احصنا وقالوا ان امركم بالرجم فاحذروا ولا تعملوا فلما سألوا الرسول (صلعم) عن ذلك نزل جبرائيل بالرجم فأبوا ان يأخذوا به فقال له جبرائيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال الرسول هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض فرضوا به حكما فقال له الرسول (صلعم) انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم فوثبت عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم امر رسول الله (صلعم) بالزانيين فرجما عند باب مسجده اذ عرّفت العصّة فنقول قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اى وضعوا الجلد مكان الرجم (الرازى مجلد ثالث وجه ٥٩٠)

(ملاحظة) انك ترى فى تفسير هاتين الآيتين اللتين هما شئ واحد ثلاث مذاهب (الاول) ابدال اللفظ بلفظ آخر (الثانى) التأويل الفاسد (الثالث) الكتمان والاخفاء اما الاول فهو ساقط راجع وجه ٥٠ و ٥١ غير ان فيه امراً يستدعى النظر وهو مسئلة جامعة ابنة آدم وانى لأعجب كيف رضى لانفسهم

هؤلاء القائلون بقول بادی زیفهُ كما تبدو الشمس لذى بصر فاين يوجد في التوراة ان آدم كان طويل القامة هل اتوا ذلك من باب الظن او على قول من قال من اهل الخرافة والغباوة فاتخذوه دليلاً على تحريف اهل الكتاب كتابهم كان لجدير بهم ان يتصفحوا التوراة اولاً ليروا أصحيحٌ ما قيل ام لا فلا يُلقون بانفسهم فى وهدة الخزل هكذا فالحمد لله ان هذا هو الشئ الوحيد الذى زعموا تحريفهُ لفظاً فى التوراة حال كونه لا وجود له فيها البتة. وما يدعو الى وفرة التعجب عدم انتباه هؤلاء الى مفاد الآيات القرآنية بهذا الشان الذى هو ان اهل الكتاب كانوا يشهدون فى كتابهم الآيات المبشرة بمحمد فكانوا اما يلبسونها بالباطل اى بالتاويل الفاسد او يخفونها عن الآخرين وذلك لا يدع قط سبيلاً لتهمة اهل الكتاب بتحريف كتابهم لا فى الاول ولا فى الآخر ولو كان وقع التحريف اللفظى فى الكتاب لذكره القرآن ولما رمى اهلهُ بالتلبيس والكتمان والاخفاء كما قد رايت وان القائلين بتقدير امكان تحريف التوراة يلوح لك من مقالهم انهم غير واثقين به. لاسنادهم اياهُ الى حرف لعلّ

وهو تقدير غاية فى الوهن والضعف قد الجأهم اليه شدة الافتقار والعوز فلا نؤاخذهم كثيراً وان الامام وغيره من ذوى النبالة لم يعيروا هذا المقال شيئاً من الاعتبار كما رأيت. بقى ان تحريف الكلم عن مواضعهِ هو القاءُ الشبه الباطلة عليهِ والتأويلات الفاسدة والاخفاءُ كما فى مسئلة الزانيين المذكورين او ايضاً تحريفهم كلام محمد غب خروجهم من عندهِ حسب الرأى الاخير فى تفسير الآية الاولى من الرازى (وجه ٧٢)

"وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين" (المائدة آية ٤٣)

(التفسير) ملخصهُ ان هذا تعجيب من الله على تحكيمهم محمداً حال كون الحكم فى الزانى هو فى التوراة عندهم وذلك من وجه دليل عنادهم وغبهم اذ يعدلون عن حكم الله فى كتابهم الى حكم محمد طلباً للرخصة بعدم الرجم ومن وجه عدولهم عن حكم يعتقدونهُ من الله الى حكم من يعتقدون فيهِ بطل دعواه بالرسالة والنبوّة (الرازى مجلد ثلث وجه ٤٠٠)

وتفسيرها فى الجلالين هو وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله بالرجم استفهام تعجب اى لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو اهون عليهم ثم يتولّون يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم من بعد ذلك التحكيم وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدىً ونور اى هدىً من الضلالة وبيان للأحكام (جزء اول وجه ١١٧)

(ملاحظة) ان هذه الآية مع تفسيرها تاتينا بثلاثة امور حريّة بالاعتبار (الأول) شهادتها لليهود بان عندهم التوراة فيها حكم الله و هذه الشهادة قاطعة لكل قولٍ بتحريف التوراة وما من مسلم ذى نيرةٍ لا يرى انهُ لو شاب التوراة تحريف مّا منهم لما كان نص الآية وعندهم التوراة فيها حكم الله (الثانى) لكون التوراة التى عند اليهود فيها حكم الله وفيها هدىً ونور فهى لامراء تغنيهم عن تحكيم محمد او غيرهِ واذا كانت تغنيهم عن تحكيمهِ فى امر الزانيين فهى تغنيهم ايضاً عن تحكيمهِ فى كل امرٍ تحتاجهُ انفسهم لان فيها هدىً من الضلالة (الثالث) اذا كان اليهود ما حكّموا محمداً الا لامل ان يحكم فى تلك المسئلة بما هو اهون عليهم من حكم التوراة يظهر انهم لم يمسوها بتحريفٍ ما ولو نافت احكامها اهواءهم او لم تكن لهم سبيل الى ذلك لتواترها المشهور شرقاً وغرباً والشهادة على ذلك "وعندهم التوراة" فتأمل ان التوراة التى فيها حكم الله هى عند اليهود وهى كلمة تنزهها عن كل تحريفٍ وتبديل فتنبّه

"وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون" (المائدة آية ٤٨)

(التفسير) يقول فان قيل كيف جاز ان يؤمَروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن قلنا الجواب عنه من وجوه (الاوّل) ان المراد ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيهِ من الدلائل الدالة على نبوة محمد (صلعم) وهو قول الاصم (الثانى) وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيهِ مما لم يصر منسوخاً بالقرآن (الثالث) المراد من قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيهِ زجرهم عن تحريف ما فى الانجيل وتغييرهِ مثل ما فعلهُ اليهود من اخفاء احكام

التوراة فالمعنى بقوله "لتحكم اهل الانجيل" اى وليقرأ اهل الانجيل بما انزل الله فيهِ على الوجه الذى انزلهُ الله فيه من غير تحريف ولا تبديل (الرازى مجلد ثالث وجه ٢٠٧)

(ملاحظة) لا يخفى القارى العزيز ما فى هذهِ الآية من بيان سلامة الانجيل فى زمان محمد من التحريف والتصحيف من حيث كونها حث لاهلهِ على الحكم بما انزل الله فيهِ والقول بانهُ يراد بذلك الدلائل الدالة على نبوة محمد فما هو الا تعزيز لبيان عدم تحريفهِ اذ لو كان محرفاً لما كانت الآية ولبحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيهِ يعنى الدلائل المُشار اليها ولما كان ذلك زجرًا لهم عن تحريفهِ كما فعل اليهود من اخفاء احكام التوراة والخلاصة ان لك فى الآية دليلين راهنين (الاول) سلامة الانجيل من شائبة التحريف (الثانى) وجوب الاعتماد عليهِ والاخذ بما فيهِ واذا وجب ذلك على اهل الانجيل وجب على اتباع محمد ايضاً لينظروا فيهِ ويحكموا بما انزل الله ليس فقط بخصوص الآيات المزعوم انها دلالة على نبوة محمد بل ايضاً بخصوص الشهادات البينة ليسوع المسيح لانهُ بعد هذه البينات القرآنيّة على عدم تحريفهِ مما ذكرنا ومما سيأتى لا يجوز للمسلم ان يعتبر بعض آياتهِ دون بعض بل عليهِ اعتبارهُ بكل اجزائهِ انجيل الله للعمل بهِ والايمان بما انزل الله فيه

"مَثَل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحملُ اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين" (الجمعة آية ٥)

(التفسير) ملخصهُ حُمِّلوا التوراة كُلِّفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بما فيها من نعتهِ صلى الله عليهِ وسلّم فلم يؤمنوا بهِ.

كَمَثَل الحمار يحمل اسفاراً اى كتبًا فى عدم انتفاعهِ بها بِئْس مَثَل القوم الذين كذبوا بآياتِ الله المصدقة للنبي محمد (صلعم) (الجلالين جزء ثانى وجه ٢٣٨)

وتفسيرها فى الرازى هو انهُ تعالى ضرب هذا المثل للذين اعرضوا عن العمل

بالتوراة والايمان بالنبي عليهِ السلام والمقصود منه انهم لمّا لم يعملوا بما في التوراة شُبّهوا بالحمار لانهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها ولم يوردوا تلك الشبه وذلك لان فيها نعت الرسول عليهِ السلام والبشارة بمقدمهِ والدخول في دينهِ. وقولهُ حُمِّلوا التوراة اي حُمِّلوا العمل بما فيها وكُلِّفوا القيام بها وقيل حملوا بالتخفيف والمعنى ضمنوا احكام التوراة ثم لمّا لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها . . . شبه اليهود اذ لم ينتفعوا بما في التوراة وهي دالّة على الايمان بمحمد (صلعم) بالحمار الذي يحمل الكتب العلميّة ولا يدري ما فيها وقال اهل المعاني هذا المثل مثل من يفهم معاني القرآن ولم يعمل بهِ واعرض عنهُ اعراض من لا يحتاج اليهِ (مجلّد ثامن وجه ٢٠٤)

(ملاحظة) انهُ لواضح ان هذهِ الآية هي بحق يهود زمان محمد وهي تبين انهم أُمِّنوا على التوراة كآبائِهم وكانوا أُمناء على حفظها سالمة كما أُنزلت لان تشبيههم في هذا المثل بالحمار الحامل اسفاراً لا يدري ما فيها ولا ينتفع بها دلالة على عدم مسّهم التوراة بتحريف مّا لان الحمار الحامل اسفاراً لا يتعرّض لها بشيء من مثل ذلك ولا يستطيعهُ وعليهِ فهم لم يتعرضوا للتوراة باذىً انما حسب الآية كذّبوا بآياتِ الله فيها يعني التي تدل على محمد وحسب التفسير لم يعملوا بما فيها بل اوردوا الشبهَ على تلك الآيات الدالة عليهِ والمبشرة بمقدمهِ فاي بيانٍ يا ترى اجلى من هذا البيان على عدم مس اليهود توراتهم بتحريف مّا واذا كان ذلك كذلك فالتوراة لم تزل اليوم كما كانت يومئذٍ وهي باللغة العربيّة كما بالعبرانية فليبادر المسلمون على دراستها وتفحص تلك الدلائل فيها المزعوم انها تعني محمداً مع اعتبار قرائِنها وامثالها من الآيات النبويّة والاشارات الرمزية الشرعية فيها بالاخلاص وخلوّ الغرض فانهم لا جرَم يرونها لا تخص قط محمداً وهي تبعد عن اعتنائهِ ولا بعد السموات عن الارض وبعد فانّا مديونون للقرآن على وفرة شهاداتهِ لسلامة التوراة والانجيل وكوننا اهل الكتاب ليس كأن كتابنا او نحن مفتقرون الى مثل الشهادة بل لاجل تنوير وافادة ابناء جلدتنا المسلمين ليشاركونا في اعتناق كتاب الله للقيام بهِ والايمان بما انزل الله فيهِ

"الذين آتيناهم الكتاب يعرفونهُ كما يعرفون ابناءهم

الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون" (الانعام مكية آية ٢٠)

(التفسير) اعلم ان ظاهر هذه الآية يقتضي ان يكون علمهم بنبوة محمد عليه السلام مثل علمهم بابنائهم وفيه سؤال وهو ان يقال المكتوب في التوراة والانجيل مجرد انه سيخرج نبي في آخر الزمان يدعو الخلق الى الدين الحق او المكتوب فيه هذا المعنى مع تعيين الزمان والمكان والنسب والصفة والحلية والشكل فان كان الاول فذلك القدر لا يدل على ان ذلك الشخص هو محمد عليه السلام. فكيف يصح ان يقال علمهم بنبوته مثل علمهم بنبوة ابنائهم وان كان الثاني وجب ان يكون جميع اليهود والنصارى عالمين بالضرورة من التوراة والانجيل بكون محمد نبياً من عند الله تعالى والكذب على الجمع العظيم لا يجوز لانا نعلم بالضرورة ان التوراة والانجيل ما كانا مشتملين على هذه التفاصيل التامة الكاملة لان هذا التفصيل اما ان يقال انه كان دافيا في التوراة والانجيل حال ظهور الرسول عليه السلام او يقال انه ما بقيت هذه التفاصيل في التوراة والانجيل في وقت ظهوره لاجل ان التحريف قد تطرق اليهما قبل ذلك والاول باطل لان اخفاء مثل هذه التفاصيل التامة في كتاب وصل الى اهل الشرق والغرب ممتنع والثاني ايضاً باطل لان على هذا التقدير لم يكن يهود ذلك الزمان ونصارى ذلك الزمان عالمين بنبوة محمد علمهم بنبوة ابنائهم وحينئذ يسقط هذا الكلام. والجواب عن الاول ان يقال المراد بالذين اتيناهم الكتاب اليهود والنصارى وهم كانوا اهلاً للنظر والاستدلال وكانوا قد شاهدوا ظهور المعجزات على الرسول (صلعم) فعرفوا بواسطة تلك المعجزات كونه رسولاً من عند الله. والمقصود من تشبيه احدى المعرفتين بالمعرفة الثانية هذا القدر الذي ذكرناه (الرازي مجلد ٤ وجه ٢١ و ٢٢)

(ملاحظة) لقد احسن الإمام باقراره ان التوراة والإنجيل ما كانا مشتملين على وصف محمد ونسبه وشكله والزمان و المكان اللذين نشأ فيهما و عليه يسقط الكلام انهم كانوا عالمين بنبوة محمد مثل علمهم ببنوة ابنائهم ففي جوابه المعتبر تفسيراً صحيحاً للاية وهو كما ترى يشتمل على ثلاث قضايا (الاولى) ان اليهود والنصارى كانوا اهلاً للنظر والاستدلال (الثانية) انهم كانوا قد شاهدوا ظهور المعجزات على الرسول (الثالثة) كنتيجة الاوليين وهي فعرفوا بواسطة تلك

المعجزات انهُ رسول الله فلننظر الى كلٍ من هذهِ القضايا على حِدَتها فعلى الاولى
اقول اذا كان اهل الكتاب في زمان محمد اهلاً للنظر والاستدلال فذلك ينافي
نص الآية السالفة بانهم شبهوا بالحمار الحامل كتباً لا يدرى ما فيها فعجباً
كيف كانوا يعرفون محمداً كنبي الله ورسولهِ من كتابهم ومع ذلك كانوا لا
يدرون ما فيهِ كما لا يدري البهيم ما في الكتب المحمَّلة على ظهرهِ هل من
اختلاف اعظم من هذا الاختلاف فأية الآيتين هي الصائبة وايتهما المخطئة
وبعد فاقول اذا كان اهل الكتاب اهلاً للنظر والاستدلال في كتابهم ولم
يستدلّوا بهِ على محمد ينتج انهم ما عرفوهُ نبياً ورسولاً كمعرفتهم ابناءَهم لان
من هو الذي يعرف ابنه وينكرهُ الا العادم الانسانية والمروَّة وذلك لا يصح
على الجمع الكثير و على الثانية اقول من اين اهل الكتاب شاهدوا ظهور
المعجزات على محمد وهو لم يأتِ بمعجزةٍ ما كما قد رأيت في الباب الاول .
فحيف على الامام ان يتلاعب هذا التلاعب الصبياني ما كان جدراً بهِ مثل
هذه المغالطة التي لا تسلك على من لهُ اقل المام في دين الاسلام و على
الثالثة اقول انها ساقطة بسقوط الثانية لان اهل الكتاب ما رأوا لمحمدٍ معجزات
وبالتالي ما عرفوهُ انه نبي الله ورسوله وعليهِ يرى ان القول يعرفونهُ كما يعرفون
ابناءَهم انهُ اما هو من باب الحدس والتخمين او هي مبنيٌّ على اقرار الذين كانوا
اسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهم الذين قال
احدهم وهو ابن سلام المذكور بحضرة عمر بن الخطاب اذ دار الحديث بخصوص
مراد هذهِ الآية اني اعرف محمداً نبي الله ورسوله معرفةً اعظم من معرفتي
بابني فقال له عُمَر وكيف ذلك فقال اما ابني فلعل امهُ خائنة بهِ واما
محمد فاعرفهُ انه رسول الله فنهض عُمَر وقبّلهُ بين عينيهِ على ان اقرار المذكورين
ليس هو اقرار الامّة لا سيمّا وهم مسلمون الذين طبعاً ينتظر منهم مثل هذا
القول الذي نختص بهم دون غيرهم ثم ان نص الآية الذين اتيناهم الكتاب الخ..
هو شهادة ثمينة على امانة اهل الكتاب على كتابهِ تعالى وحفظهِ كما أُنزل وبعد
فلقد اجاد الامام ببيانهِ على سبيل السُوال على اسلوبٍ منطقي عدم معرفة
اهل الكتاب محمداً كنبي الله ورسولهِ كمعرفتهم ابناءَهم وشفافة النص على
عدم مس اهل الكتاب كتابهم بتحريفٍ مّا ولان البيان المذكور غاية في المتانة
وغير قابل الدحض و كان الامام كرجلٍ مسلم يبغي التخلص منه كيف كان
لجا الى الجواب المذكور الذي ليس فقط لم يغنهِ شيأً بل ينتج منه نفس النتيجة

من ذلك البيان وهي عدم معرفة اهل الكتاب محمداً كما يعرفون ابناءهم فكأن الامام رام بهِ تعزيز ذلك البيان لا اضعافهِ فتأمل

"فان كنت في شكٍ مما انزلنا عليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكن من الممترين" (يونس آية ٩٤)

(التفسير) ان في تفسير هذه الاية مسائل و وجوه مختلفة لا يسعني ذكر جميعها ولو على سبيل الاختصار فاذكر اهمها ملخصاً من ذلك زعم فريق ان هذا الخطاب ليس هو لذات النبي وغيرهم بل هو للنبي فمن قال انه للنبي قالوا ان الخطاب مع النبي في الظاهر والمراد غيرهُ كالمثل المشهور. اياكِ اعني واسمعي ياجارة و على ذلك وجوه مختلفة والذين ذهبوا انهُ لغير النبي قرروا ان الناس في زمانهِ كانوا فرقاً ثلاثاً اي المصدقون بهِ والمكذبون لهُ والمتوقفون في امرهِ الشاكون فيهِ فخاطبهم الله بهذا الخطاب فقال ان كنت ايها الانسان في شكٍ مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوتهِ فاختلفوا في المسؤول من اهل الكتاب فقال المحققون هم الذين آمنوا واسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار ومنهم من قال الكل سواء كانوا من المسلمين او من الكفار فان قيل اذا كان مذهبكم ان هذه الكتب قد دخلها التحريف والتغيير فكيف يمكن التعويل عليها قلنا انهم انما حرفوها بسبب اخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد عليهِ الصلاة والسلام فان بقيت فيها آيات دالة على نبوتهِ كان ذلك من اقوى الدلائل على صحة نبوة محمد عليهِ الصلاة والسلام لانها لمّا بقيت مع توفّر دواعيهم على ازالتها دلّ ذلك على انها كانت في غاية الظهور ومن الوجوه في التفسير على ان هذا الخطاب هو لمحمد وهو ان محمداً كان من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة في قلبهِ من الجائزات وتلك الخواطر لاتندفع الا بايراد الدلائل وتقرير البينات فهو تعالى انزل هذا النوع من التقريرات حتى ان بسببها تزول عن خاطرهِ تلك الوساوس ثم ان قولهُ فان كنت في شكٍ فافعل كذا وكذا

قضيّة شرطيّة والقضيّة الشرطيّة لا اشعار فيها البتة بان الشرط وقع او لم يقع (الرازى مجلد خامس وجه ٢٨ و ٢٩)

و تفسيرها في البيضاوى هو فانهُ محقق عندهم (اى اهل الكتاب) ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك من القِصص والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة . . . او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما أُنزِل اليهِ او تهييج الرسول وزيادة تثبيتهِ لا امكان وقوع الشك لهُ (مجلد اول وجه ٥٥٠)

و فى الجلالين فان كنت يا محمد فى شكٍ مما انزلنا اليك من القصص فرضاً فاسأَل الذين يقرأُون التوراة من قبلك فانهٔ ثابت عندهم يخبرونك بصدقه. (جزء اول وجه ٢٠٥)

(ملاحظة) يظهر من تفسير العلماء لهذهِ الآية على الصورة المتقدمة كانهم شعروا بثقل هذهِ الآية على عواتقهم لقيامها اهل الكتاب حَكَماً لمحمد فحاولوا تأْويلها على نوعٍ يبقى فيهِ شرف نبيّهم غير مثلومٍ على ان صراحة الآية التى جعلت مجالهم حرَجاً للغاية دفعتهم الى كلامٍ لا يجدر بامثالهم كقول بعضهم ان هذا الخطاب هو فى الظاهر مع النبى والمراد غيرهُ اى للمتوقفين فى امرهِ الشاكين بهِ وهو فى غاية البعد عن مراد الآية وبعضهم بل هو للنبى كما رأيت فيما تقدّم على انهم كيفما قلّبوا المسأَلة وادارها تتجه كابرة الحك نحو قطبَى سلامة الكتاب وامانة اهلهِ عليهِ فاذا على افتراض ان الخطاب فى الآية كان للشاكين فى نبوة محمد فذلك يرتّب على كل مرتاب فى امر محمد ان يستفتى من جهتهِ اهل الكتاب وقوي ذلك عمل حسَن فهل يستحسنهُ المسلمون وان كان بل الخطاب فيها كان لمحمد وهو الصحيح فهو بيانٌ سنيّ على امانة اهل الكتاب معاصري محمد على كتابهم لانهُ اذا كان لازالةِ الشك من قلب محمد فيما انزل اليهِ او لدفع تلك الخواطر المشوّشة من قلبهِ أُمر بسؤَال قارئِي الكتاب من قبلهِ فذلك برهان ساطع على انهم اهل الكتاب للحق وانهم محافظون عليهِ كما أُنزِل وعلى كفايتهم لاعطاء الجواب الشافى لمحمد ولجلاء الاوهام بنور كتابهم وذلك لا يدع محلاً للقول على سبيل السؤَال فان قيل اذا كان مذهبكم ان هذهِ الكتب قددخلها التحريف والتغيير فكيف يمكن التعويل عليها ولا لذلك الجواب البارد الساقط وعجباً للامام كيف هكذا يتلاعب فى اقوالهِ تلاعباً لا يليق

بذي العلم والتعقّل. اينسى او يتناسى ما تقدم من الآيات البينات وتفاسيرها في هذا الباب المبينة بكل وضوح وجلاء عدم تطرق التحريف الى الكتاب (التوراة والانجيل) وان ما يُسمّى تحريفاً كنص الآية يحرّفون الكلم عن مواضعه ليس هو سوى الكتمان والاخفاء او التأويل الفاسد وليّ اللسان بالالفاظ تعويجها عن استقامتها والا يعلم انهُ لو لم يكن في القرآن شهادة لامانة اهل الكتاب على كتابهم سوى هذهِ الآية التي نحن بصددها لكفى بها دليلاً لهم على ذلك لانها سدٌّ محكمٌ لكل فمٍ يطعن بسلامة الكتاب او بعدم امانة اهلهِ عليهِ ثم اما قول بعضهم انهُ يُراد بالذين يقرأون الكتاب من قبلك هم اولئك النفر الذي اسلم من اليهود فهو لقول ساقط كما بينا في الملاحظة على تاويل الآية السالفة وهو غير مقبول كما قد رأيت عند المتكلمين واما القول في البيضاوي والجلالين ان محمداً أُمِر بسؤال الذين يقرأون الكتاب من قبلهِ من نحو ما أُلقي اليهِ من القصص فهو لضعيف لان الآية لا تبين ان المراد بذلك هو القصص التاريخية على نحو قصص التوراة وتفسير الامام الرازي بستبان منهُ غير ذلك لانهُ يقال فيهِ ان السؤال هو لازالة الخواطر المشوشة من قلب محمد وهو الاكثر موافقة للآية وبعد اذا كان محمد أُمِر بسؤال اهل الكتاب للاستفادة منهم عن حقيقة ما أُنزِل اليهِ فيلزم ان اتباعهُ يجرون على هذا المجرى للتحقق والاستشهاد لما في الكتب المتقدمة واذا وجب ذلك يكون الكتاب المقدس هو الحَكَم في العقائد والمذاهب وللفصل بين الحق والبطل فاين قول القائلين بتحريف الكتاب أيجهلون انهُ لو كان اهل الكتاب غير أمناً على كتاب الله لكان القول واسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك عبثاً لا محلّ لهُ اذ يكون محمد أُمِر بسؤال اناس غير أمَناً لعبوا بكتاب الله وكيف ينتظر من مثل هؤلاء ان يخلصوا الجواب لمحمد لكن الآية تعلن امانة المسأولين وبراءة ساحتهم من تحريف او تغيير كلمة او حرف من كتابهِ تعالى

تذييل

اذ قد اتضح من الآيات المتقدمة في هذا الباب مع تفسيرها من اشهر العلماء الراسخين سلامة كتاب الله التوراة والانجيل من التحريف نقول ان المسلم القائل بتحريفهِ قد نافى نص القرآن الصريح وانكر بذلك صحة ما اعتقد انزالهُ من الله لان ما الطعن بسلامة الكتاب الّا طعناً بشهادة القرآن لهُ وهل من اتى بذلك

يجوز ان يُحسَب مُسلِماً فليس من شان المسلم الطعن بسلامة الكتاب انما ذلك شان من القى القرآن ظهريًّا وخرط نفسَهُ في سلك اعداء الوحي وعلى اهل الكتاب قراءةُ ثمّ بحسام الحجة والبرهان

وبعد فهل يا مسلم ترضى لنفسك ان تحترم آيات القرآن دون تدبّرها وان تتلوها بالخشية ولا تأخذ بها فان قلت بل اتدبّرها وآخذ بها يقيناً وعملاً قلت اذاً لزمك لا محالة اعتبار التوراة والانجيل الحاليين كتاب الله الحق لم يشبهما شائب التحريف ولم يمسّهُ تغيير وتبديل حسب مفاد الآيات القرآنية المتقدمة وعليهِ ما اجدرك باتخاذ الكتاب ودراستهِ بالوقار اناءَ الليل واطراف النهار لاستقصاء مبانيهِ واستجلاء معانيهِ الكتاب الذى منه اخذ القرآن تلك القصص والاعلام وهل يفوت ذهنك ان ما شهادة القرآن لسلامة الكتاب الا ضرب من الارشاد اليهِ وتشويق للوقوف عليهِ وان تلك القصص في القرآن اكبر داعٍ للوقوف على الكتاب التي اخذت منهُ كما اذا شوهد بعض الحجارة الكريمة بيد امرءٍ ما وعلم انها من معدن كذا يكون ذلك داعياً لقصد ذلك المعدن لسبر ما فيهِ من نوع تلك الجواهر الثمينة والّا يُعدّ من الحماقة والبلادة الاغضاءُ عن ذلك وعليهِ فلا حاجة للمسيحي ان يجهد نفسهُ مع المسلم ببيان عدم تحريف الكتاب والبينة على ذلك جليّة في قرآنهِ لان من كان الشهود عليهِ من اهلهِ وخلّانهِ لاحاجة الى تقديم شهود عليهِ من الخارج وكفى بالقرآن دليلاً لاهلهِ على سلامة الكتاب وان اهلهُ كانوا في زمان محمد كما هم اليوم أُمناءَ على كتابهِ تعالى يبذلون من دونهِ المُهَج متفقين عليهِ مختلفين فيما سواه

الباب الخامس

فى الآيات الدالّة على ان النبوة والكتاب خاصان ببنى اسرائيل

"يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين" (البقرة آية ٤٧)

(التفسير) ملخصهُ انه تعالى يذكرهم بسالف نعمهِ عليهم. تعريضًا من ترك اتباع محمّد كانهُ يقول ان لم تطيعونى لاجل سوالف نعمى عليكم فاطيعونى للخوف من عقابى فى المستقبل. اما قولهُ وانى فضلتكم على العالمين ففيهِ سوأل وهو انه يلزم ان يكونوا افضل من محمد عليهِ السلام وذلك باطل بالاتفاق والجواب عنهُ من وجوه (الوجه الاول) قال قوم العالم عبارة عن الجمع الكثير من الناس كقولك رأيت عالمًا من الناس والمراد منه الكثير لا الكل وهذا ضعيف لان لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل فكل ما كان دليلاً على الله تعالى كان عالمًا فكان من العالم وهذا تحقيق قول المتكلمين العالم كل موجود سوى الله وعلى هذا لا يمكن تخصيص العالم ببعض المحدثات (الوجه الثانى) المراد فضلتكم على عالمى زمانكم وذلك لان الشخص الذى سيوجد بعد ذلك وهو الآن ليس بموجود لم يكن ذلك الشخص من جملة العالمين حال عدمهِ لان شرط العالم ان يكون موجودًا والشيء حال عدمهِ لا يكون من العالمين وعليهِ فلا يلزم من كون بنى اسرائيل افضل من العالمين فى ذلك الوقت كونهم افضل من محمد صلى الله عليهِ وسلم (الوجه الثالث) ان قولهُ وانى فضلتكم على العالمين عام فى العالمين لكنهُ مطلق فى الفضل والمطلق يكفى فى صدقهِ صورة واحدة فالآية تدلّ على ان بنى اسرائيل فُضلوا على

العالمين في امرٍ مّا وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور بل لعلهم وان كانوا افضل من غيرهم في امرٍ واحدٍ فغيرهم يكون افضل منهم فيما عدا ذلك الامر وفي ذلك ابحاث مستطيلة نذكر منها مُلخّص بحثين (الاول) قال ابن زيد اراد بهِ المومنين منهم لان عُصاتهم مسخوا قردةً وخنازير على ما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل (الثاني) قوله تعالى واني فضّلتكم على العالمين يدلّ على انهُ رعاية الاصلح لا تجب على الله تعالى لا في الدنيا ولا في الدين فان قيل لمّا خصّهم بالنعم العظيمة في الدنيا فهذا يناسب ان يخصّهم ايضاً بالنعم العظيمة في الآخرة كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائهِ فلِمَ اردف ذلك بالتخويف الشديد في قولهِ "واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيأً ولايُقبَل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم يُنصَرون" والجواب لان المعصية مع عظم النعمة تكون اقبح وافحش فلهذا حذرهم عنها (الرازي مجلد اول وجه ٥٠٠ و ٥٠١)

وتفسيرها في الجلالين اذكروا نعمتي بالشكر عليها بطاعتي واني فضلتكم اي آباءكم على العالمين عالمي زمانهم (جزء اول وجه ٩)

(ملاحظة) لا باس من القول بان الله فضل بني اسرائيل على عالمي زمانهم غير ان النتيجة المستخرجة من هذهِ المقدمة وهي وعليهِ لا يلزم من كون بني اسرائيل افضل من العالمين في ذلك الوقت افضل من محمد لا تفي بالغرض من وجهين (الاول) تفضيل بني اسرائيل على بني اسماعيل معاصريهم واذا ان الله خصّ بني اسماعيل بسيد الانبياء وحبيبهِ الخاص الذي ما خُلقت السماء والارض الّا لاجلهِ كما يزعمون فبالضرورة تكون ذريّة اسمعيل افضل من ذرّية اسرائيل (يعقوب) وعليهِ كيف فضل تعالى بني اسرائيل على بني اسماعيل و ان قيل انما ذلك كان لانهُ لم يكن قد خرج بعد نبيٌّ من ذرّية اسماعيل نقول ان الاقتصار على اعتبار الحال انما هو شان الانسان لاشان العليم الحكيم الذي قد استوى عنده الحال والاستقبال فاذا كان بقصدهِ تعالى اقامة نبي من ذرية اسماعيل في مستقبل الايام اعظم وافضل كل انبياء اسرائيل فلا مشاحة انهُ يكون قد فضّلهم على بني اسرائيل واذ ذلك فكيف يقول انهُ فضّل بني اسرائيل على العالمين المدروج فيهم بني اسماعيل (الثاني) زعموا ان محمداً اول خلق الله اي انهُ كان نوراً ينقلب متسلسلاً

من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات من آدم حتى ابيه عبد الله حتى امه آمنة فعليه قد كان محمد موجوداً روحياً فى ايام اسرائيل وذريته واذا كان الله فضل بنى اسرائيل على بنى اسماعيل عالمى زمانهم يلزم من ذلك انهٔ تعالى فضلهم على محمد الذى كان وقتئذٍ فى الاصلاب والارحام ولا مناص من ذلك

"ووهبنا لهٔ اسحق ويعقوب وكلّاً هدينا" (سورة الانعام آية ۸۴)

(التفسير) ملخصهٔ ووهبنا له اسحق لصلبه ويعقوب بعدهٔ من اسحق فان قالوا لِمَ لم يُذكر اسمعيل عليهِ السلام مع اسحق بل اخّر ذكرهٔ عنه بدرجات قلنا لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بنى اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبهِ احد الانبياء الّا محمد (صلعم) ولا يجوز ذكر محمد عليهِ السلام فى هذا المقام لانه تعالى امر محمد (صلعم) ان يحتج على العرب فى نفى الشرك بالله بان ابراهيم لما ترك الشرك واصرّ على التوحيد رزقهُ الله النِعَم العظيمة فى الدين والدنيا و من النعم العظيمة فى الدنيا ان اتاهُ الله اولاداً كانوا انبياء وملوكاً فاذا كان المحتج بهذهِ الحجة هو محمد عليهِ الصلاة والسلام امتنع ان يذكر نفسه فى هذا المعرض فلهذا السبب لم يُذكر اسمعيل مع اسحق (الرازى مجلد ۴ وجه ۱۲۱ و ۱۲۲)

(ملاحظة) انك ترى الإمام باعتبار هذه المسٔلة الخطيرة كرجلٍ ضمن دائرة بناء عالٍ لا منفذ لها يدور ملتمساً مخرجاً ولا يجد فيأخذ يقفز هنا وهناك محاولاً عبثاً الصعود الى اعالى الجدران فيعود منهوكاً من الاعياء بلاجدوى فانظر ان جوابه على سوال السائل الذى هو لِمَ لَمْ يُذكر اسمعيل مع اسحق بل اخّر ذكرهُ عنه بدرجات ليس هو تخلّصاً بل تملّصاً عدمه خيرٌ منه لما انهٔ يعود على المتكلم بما لا يرضيه و ذلك من وجهين كما سترى (الاول) ان السائل لم يقل لِمَ لم يذكر محمداً مع موسى. بل اسمعيل مع اسحق فاى محلٍ اذاً للجواب "ولا يجوز ذكر محمد فى هذا المقام و من اين عرف حضرتهٔ ان المقصود من ذكر اسحق ويعقوب كهبة الله لابرهيم هو ذكر انبياء بنى

اسرائيل وما دليل ذلك وعلى فرض صحة مقالهِ هذا ان ذكرهما مقصود بهِ ذكر الانبياءِ الذين سيأتون من نسلهما فذلك يوجب ذكر اسمعيل معهما كون ذكره بحسب مبدا الامام ذكر النبي الذي سيكون منه (الثاني) اذا كان المقصود من ذكر اسحق ويعقوب معاً ذكر الانبياءِ الذين سيكونون من ذريتهما ينتج من ذلك ان عدم ذكر اسمعيل معهما لان لا نبي من ذريتهِ فتأمل واما القول بامتناع محمد من ذكر نفسهِ لسبب كذا فهو لقول ساقط لانه لا يُفهَم من ذكر اسمعيل مع اسحق ذكر محمد فكأن الجهل والحسرة قاد القائلين لاختلاق هذا السبب العديم الاعتبار

"فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا لهُ اسحق ويعقوب وكلّاً جعلنا نبيّا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدقٍ عليّا" (مريم آية ٤٩)

(التفسير) ملخصهُ ان ابرهيم لما اعتزل عشيرتهُ واعتزل دينهم وبلدهم وسار الى حيث دعاه الله عوّضهُ اولاد انبياء وجَعْلهُ تعالى ابرهيم وولده وحفيده انبياء من اعظم النعم في الدنيا والآخرة ثم بيّن تعالى انهُ مع ذلك وهب لهم من رحمتهِ اى وَهَب لهم مع النبوة ما وهب ويدخل فيهِ المال مع الجاه والاتباع والنسل الطاهر والذرية الطيّبة ثم قال وجعلنا لهم لسان صدقٍ عليّاً ولسان الصدق الثناء الحَسَن وعبّر باللسان عما يوجَد باللسان كما عبّر باليد عما يُعطَى باليد وهو العطيّة واستجاب الله دعوتهُ في قولهِ واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين فصيّرهُ قدوةً حتى ادّعاهُ اهل الاديان كلهم (الرازى مجلد ٥ وجه ٨٠٩)

وتفسيرها في البيضاوى هو "وهبنا لهُ اسحق ويعقوب" لعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضلهِ على الانفراد وكلّاً جعلنا نبيّا وكلّاً منهما او منهم (بيضاوى مجلد ثانى وجه ٣٩)

وتفسيرها في الجلالين هو بان ذهب (ابرهيم) الى الارض المقدسة وهبنا لهُ ابنين يأنس بهما وكلّاً منهما جعلنا نبياً ووهبنا لهم اى للثلاثة من رحمتنا المال والولد وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً رفيعاً وهو الثناء الحسن في جميع اهل الاديان (جزء ثانى وجه ١٧)

"ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب واتينا اجرهُ فى الدنيا وانهُ فى الاخرة لمن الصالحين" (سورة العنكبوت آية ٢٥)

(التفسير) ملخصهُ ان ابرهيم لمّا اتى ببيان التوحيد دفع عنه شر قومه الكفّار واثابهُ فى الدنيا بالبنين والذرية والجاه والمال ثم قال وانهُ فى الآخرة لمن الصالحين يبين تعالى ثواب ابرهيم العاجل والآجل فقال "ووهبنا له اسحق ويعقوب" الخ ثم قال وفى الآية مسئلتان (احداها) ان اسمعيل كان من اولاده الصالحين فَلِمَ لم يُذكَر فيقال هو مذكور فى قوله وجعلنا فى ذريته النبوة ولكن لم يُصرّح باسمه لانهُ كان غرضه تبيين فضله عليه بهبة الاولاد والاحفاد فذكر من الاولاد واحداً وهو الاكبر ومن الاحفاد واحداً وهو الاظهر (الثانيه) ان الله تعالى جعل فى ذريته النبوة اجابةً لدعائه والوالد يُستحب منه ان يسوي بين ولديه فكيف صارت النبوة فى اولاد اسحق اكثر من النبوّة فى اولاد اسمعيل فنقول الله قسّمَ الزمان من وقت ابرهيم الى القيامة قسمين والناس جمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله فيه انبياء فيهم فضائل جمّة وجاؤا تترى واحداً بعد واحد ومجتمعين فى عصرٍ واحدٍ كلهم من ورثة اسحق عليهم السلام ثم فى القسم الثانى من الزمان اخرج من ذرية ولده الآخر وهو اسمعيل واحداً جمع فيه ما كان فيهم وارسلهُ الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعلهُ خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعه الاف سنة فلا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل مثل ذلك المقدار (رازى مجلد ٦ وجه ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤)

(ملاحظة) لا يخفى القارى العزيز ان الامام بتفسيره هذه الآية قد خالف قولهُ بعض المخالفة فى تفسيره الآية على وجه ٧٤ لانهُ فى تفسير تلك زعم ان سبب عدم ذكر اسمعيل مع اسحق هو لان المقصود بذكر اسحق ويعقوب فيها ذكر الانبياء ذريتهما الى آخر الكلام و فى تفسير هذه يقول عن اسمعيل هو مذكور فى قوله "وجعلنا فى ذريته النبوّة ولكن لم يصرّح باسمه" الى آخر القول فنقول كان الاجدر بالامام ان يقول هذا القول منذ الاول فلا يقع فى ورطة التناقض الذى لم يجده نفعاً من وجهين (الاول) لانهُ لو كان

الامر كما ذكر لوجب ذكر اسمهِ مع ذكر اسم اخيهِ وابن اخيهِ حال كونهِ ابن ابرهيم البكر وهو الاكبر لا اسحق كما يتوهم الامام وما اسقم السبب الذى ذكرهُ لعدم التصريح باسم اسمعيل مع اسحق لانهُ ان كان غرض الله تبيين فضلهِ على ابرهيم بهبةِ الاولاد والاحفاد واسمعيل ولد ابرهيم البكر الذى منهُ سيكون سيد الانبياء والمرسلين كما يزعمون لكان هو احرى بالذكر اولاً ولكن فات حضرتهُ ان السبب غير ما ذكر وهو حقاً سببٌ موجبٌ لعدم ذكر اسمعيل مع اسحق ويعقوب وما ادراك ما هو هو لانهما شجرتا الانبياء حسبما يذكر البيضاوى (وجه ٩١) ومن ذريتهما سيكون النسل المبارك الذى فيهِ تتبارك جميع قبائل الارض (انظر تك ٢٣ : ١٨ و ٢٦ : ٤ و ٢٨ : ١٤) وعليهِ فان اسحق وُهِب لابرهيم بوعدٍ كما هو مقرَّر فى التوراة والقرآن حيث بشَّر بهِ الملائكة ابرهيم وسارة بخلاف اسمعيل الذى وُلِدَ لهُ من سريتهِ هاجر بدون وعدٍ ولا تبشير (الثانى) لان القول "وجعلنا فى ذريتهِ النبوة قرينة للقول" ووهبنا لهُ اسحق ويعقوب ولما كانت هذهِ النعمة مقرونةً بتلك الهبة دلَّ ذلك على جعلها فى ذرية الموهوبين لابرهيم وما تزيد هذهِ الحقيقة جلاءً انهُ عند ذكر اسم اسمعيل لا يقرنهُ بشيءٍ من وعد النبوة كما فى ذكر اسحق ويعقوب (انظر سورة الانبياء آية ٨٢ وسورة ص آية ٤٦)

ثم من ابن حضرة الامام عرف ان الله سبحانهُ قسم الزمان الى قسمين نبويين الواحد زمان انبياء بنى اسرائيل والثانى زمان نبوة محمد وان الله جمع فى محمد ما كان فى اولئك الانبياء من الفضائل وان دين اولاد اسحق دام اكثر من اربعة الاف سنة الى آخر القول (راجع وجه ٧٨) فاقول ان هذا الزعم فاسد ووجه فسادهِ هو (اولاً) لا يخفى القارى النبيه ان عيسى المسيح هو من بنى اسرائيل ذرية اسحق ويعقوب ودينهُ منتشر فى كل الاقطار وعدد المتدينين بهِ نحو ثلاثة اضعاف المتدينين بدين محمد وهو باقٍ نامٍ زاهٍ اكثر من كل دينٍ على وجه الارض هذا عداءً عن بقية امة اليهود المتمسكة بمجرد شريعة موسى فاين تقسيمهُ اذاً (ثانياً) انه لم تُجمع فى محمد فضائل انبياء اسرائيل حتى ولا فضائل واحدٍ من مشاهيرهم ولايضاح ذلك نأتى بذكر فضائل اثنين منهم وهما موسى وعيسى فموسى كلَّمهُ الله وجهاً لوجهٍ واعطاه لوحَي الشريعة من على جبل حوريب بشارات حضور الله عز وجلَّ امام اعين شعب اسرائيل وعجائبه ومعجزاته معلومة ومحمد حسب زعمهم لم يكلمهُ

الله بل كان جبريل يأتيهِ بالآيات من عند الله وهو لم يصنع معجزةً ما وكلّت العرب عبثاً من سوألهِ آيةً كما قد رأيت في الباب الاول من هذا الكتاب فاين هو اذاً من فضائل موسى اما المسيح يسوع فقد زاد كثيراً في الفضل على موسى من حيث الولادة والنسب والقداسة والعمل وُلد من دون اب بشري وُدعي في القرآن من روح الله وكلمتهِ ولم يذكر له عيباً ولا لهُ في القرآن استغفار او توبة وآياتهُ ومعجزاتهُ تفوق آيات موسى اذ احيى الميت وابرأ الاكمه والابرص وخلق من طينٍ حياً ومحمد ليس له مثل هذا النسب العجيب والصفة والمقدرة فلا هو عمل آيةً واحدةً مما عمل المسيح وكان دأبهُ استغفار ربّهِ عن ذنوبهِ حتى كان الجواب حسب القرآن قد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فضلاً عن ان عيسى كان رجلاً زاهداً لم يعرف امرأة ورجل حب وسلام ودعة وسكينة حيثما توجه كان ينشر البركات والخيرات على اولي الفاقه والبؤس فاين هو اذاً من فضائل المسيح انه سهل على المرء ان يدعي لما يشاء ولكنّ الصعوبة في اثبات الدعاوى فالقائدُ الحكيم يُعدِّل قوده قبل الحرب ويقدّر العواقب قبل خوض المعامع وبيان ان الامام لم يُعدِل متانة اقوالهِ هذهِ ليعرف منزلتها من القوة والضعف ولم يحسب ان اهل الكتاب قادرين على دحضها باوفر سهولة فاقتحم المسألة على غير انتباهٍ وتروٍّ. واني لا اقدر أصدّق ان مثل هذهِ التفاصيل الواهنة السخيفة تحوز القبول عند ذوي الاطلاع النُبهاء من مسلمي هذا العصر الذين لا تنفق في سوقهم دعاوى لا اساس لها يعتمد عليهِ ولا برهان تقوم بهِ.

"ووهبنا لهُ اسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم ايمّة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" (سورة الانبياء آية ٦٩ و ٧٠)

(التفسير) خلاصتهُ وهو قول ابن كعب وابن عباس و قتادة والفراء والزجاج ان ابرهيم عليهِ السلام لمّا سأل الله ولداً قال ربِّ هب لي من الصالحين فاجاب الله دعاه ووهب له اسحق اجابةً لدعائهِ واعطاهُ يعقوب من

غير دعائهِ فكان ذلك نافلةً على ما سأل كالصلاة النافلة زيادةً على الفرض وعلى هذا النافلة يعقوب خاصّة وكلاًّ جعلنا صالحين اى وكلاًّ من ابرهيم واسحق ويعقوب انبياء ومرسلين عاملين بطاعة الله عزّ وجلّ مجتنبين محارمهُ واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدلّ على انهُ سبحانهُ خصّهم بشرف النبوة وكانوا لنا عابدين كأنّهُ سبحانهُ وتعالى لمّا وفى بعهد الربوبية فى الاحسان والانعام فهم ايضاً وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبادة (رازى مجلد ٦ وجه ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩)

وتفسيرها في البيضاوى وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين "نافلة" عطيّة فهى حال منهما او ولَد ولَد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس للقرينة وكلاًّ يعنى الثلاثة "جعلنا صالحين" بان وفقناهم للصلاح او حملناهم عليهِ فصاروا كاملين (مجلد ثاني وجه ٨٧)

(تنبيه) لقد سهينا عن رقم تفسير البيضاوى لآية العنكبوت المتقدم ذكرها فى محلهِ فلا باس من كتابة ذلك هنا قال "ووهبنا لهُ اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريتهِ النبوة والكتاب" يعقوب نافلة حين ايس من الولادة من عجوزٍ عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل "النبوة" فكثر منهم الانبياء "والكتاب" يريد بهِ الجنس ليتناول الكتب الاربعة (مجلد ثاني وجه ٢٣٣)

(ملاحظة) ها لقد تكرر القول اربع مرار فى اربع سور "ووهبنا" ابرهيم اسحق ويعقوب وقد تذيل كلٌّ من هذهِ الاقوال بذيل يتنوّع عن سالفهِ ويزيدهُ رونقاً وعظمةً فذيل الاول كما رأيت وكلاًّ هدينا (والثانى) وكلاًّ جعلنا نبياً (والثالث) وجعلنا فى ذريتهِ النبوة والكتاب (والرابع) وكلاًّ جعلنا صالحين أفلا يدلّ ذلك دلالةً راهنة ان غاية الله الحسنى هى فى نسل اسحق ويعقوب دون اسمعيل والا يوافق ذلك كل الموافقة ما ورد فى التوراة من وعدهِ تعالى لكلٍ من ابرهيم واسحقْ ويعقوب على التوالي وبتبارك فى نسلك جميع قبائل الارض (راجع وجه ٧٣) وبعد هل لا تخطر على بال المسلم النبيه لدى استغراق تأملهِ فى هذه الآيات انهُ لو كان لاسمعيل عند ربهِ من الكرامة ما عندهُ لاسحق او لو كانت الغاية فيهما متساوية لكان ذِكرُهُ اولى فى هذا المقام من ذكر يعقوب حفيد ابرهيم وعوض القول المكرر ووهبنا له اسحق ويعقوب كان القول ووهبنا لهُ اسمعيل واسحق او اسحق واسمعيل فما يا ترى علة هذا العدول عمّا هو

طبيعيٌّ وعاديٌّ في هذهِ المسئلة وهنا نرجع بالقارئ العزيز الى تفسير الأيمّة كلمة ووهبنا له اسحق ويعقوب وننظر في مفاد ذلك فعلى القول في الآية الاولى يقول الامام فخر الرازي "ووهبنا له اسحق لصلبهِ ويعقوب بعدهُ من اسحق" فارجوك الوقوف هنيهةً لتدبّر هذهِ الكلمة انظر الا تفيد كأنّ ابرهيم لم نُنعَم عليهِ من الله بولدٍ من صلبهِ سوى اسحق مع ان اسمعيل ولدهُ من صلبهِ فلِمَ يا ترى لم يُذكَر لا مُقدَّماً ولا مُؤخَّرًا مع اسحق بل حُسِبَ للحفيد هبة الله لابرهيم دونهُ كأنهُ ليس بولدهِ الا ان ذلك دليلٌ على ان غاية الله الصالحة هي في نسل اسحق ويعقوب دون نسل اسمعيل وِفقاً لقولهِ تعالى في التوراة حين طرد سارة هاجر واسمعيل ولدها "في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لانهُ باسحق يُدعَى لك نسل" تك ٢١ : ١٢

وعلى القول في الآية الثانية وجه ٧٥ يقول ان ابرهيم لما اعتزل عشيرتهُ . . . . وسار الى حيث دعاهُ الله عوضهُ اولاد انبياء وجَعْلُهُ تعالى ابرهيم وولدهُ وحفدهُ انبياء من اعظم النعم في الدنيا والآخرة فنثني على امانة الامام بتفسير الآية هكذا على ان ليس في وسعهِ ان يتجاوز صراحتها فتأمل ان اسمعيل كما انهُ لا حظَّ لهُ في الحسبان مع اخيه وابن اخيهِ كهبة الله لابرهيم لا حظَّ لهُ ان يُحسَب معهم نبيًا واذا كان كما يزعمون هو ابو سيد الانبيآء حبيب الله لماذا لم يُشرَّف بشيءٍ من ذلك بل أغضي عنهُ كأنهُ ليس بموجود او ليس هو ابن ابرهيم لِمَ يا ترى وفي الجلالين وهبنا لهُ ابنين يأنس بهما وكلاًّ منهما جعلنا نبيًّا فيا جلال الدين الم يكن لابرهيم ولد من صلبهِ غير اسحق فلِمَ قلتَ يأنس بهما تعني ابنهُ اسحق وحفيدهُ يعقوب ولم تقل يأنس بهما مع اسمعيل ولدهِ ألم يكن اسمعيل حيًا حتى لم تشملهُ بذكر الإنس لابيهِ مع اخيهِ أأهملتهُ وفقاً للآية التي لا تكترث بهِ. حسنًا عملت. اما البيضاوي فيقول لعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبيآء لقد احسن الإمام ايضًا بهذا التأويل وان يكن تحت لفظة لعلّ كأنهُ غب البحث لم يجد سببًا لتخصيصهما بالذكر الا هذا فعليهِ يقال لعلّ عدم شمل اسمعيل معهما بالذكر لانهُ ليس هو شجرة انبياء ولا هو اصل نبيٍّ عظيم لانهُ اذا كان شجرة او اصل نبيٍ اعظم كل الانبيآء فيهِ جمع الله كل فضائلهم حسب تأويل الرازي (انظ وجه ٧٢) فهو مستحق ان يُشمَل بالذكر مع اسحق ويعقوب وجدير بان يُحسَب في عداد هبات الله لابرهيم ولكن لكدر وغم حزبهِ لم يُشرَّف بشيءٍ من ذلك

وعلى القول فى الآية الثانية وجه ٧٩ يقول الرازى ان ابرهيم لما اتى ببيان التوحيد دفع عنهُ شر قومهِ الكفار واثابه فى الدنيا بالبنين والذرية والجاه والمال فيريد بالبنين هنا حسب الآية اسحق ويعقوب كانّ ابرهيم لم يُرزَق من الله بنين سواهما فتأمَّل وعلى القول فى الآية الرابعة وجه ٨٨ ان ابرهيم لما سأل الله ولداً قال ربِّ هب لى من الصالحين فاجاب الله دعاءهُ ووهب له اسحق اجابةً لدعائهِ واعطاه يعقوب من غير دعائهِ فكان ذلك نافلة

وفى البيضاوى يعقوب نافلة عطية او زيادة على ما سأل وهنا ملاحظة ان كان ابرهيم حين سأل الله ولداً صالحاً "ربّ هَب لى من الصالحين" كان لهُ اسمعيل يتضح ان ابرهيم ما كان معتبراً اسمعيل كولدٍ لهُ صالحٍ ولذلك لم نُحصِّ فى عداد الموهوبين له من الله وان كان لم يكن له حينئذٍ اسمعيل وان اسمعيل ولد لابرهيم بعد اسحق كما اشار الرازى (وجه ٧٩) و لم يُذكَر بين اسحق ويعقوب كهبة الله لابرهيم بل استُثني من ذلك كأنهُ لم يكن ولداً لابرهيم يستدّل من ذلك كأنّ لا خيرَ فيهِ او ليس فيهِ ولا فى نسلهِ بركة للعالم بل ذلك خاصٌ بنسل اسحق ويعقوب الانبياء الصالحين وشجرتَي الانبياءُ المباركين وانى لأعجب من القول عن يعقوب انهُ نافلة لابرهيم كصلاة النافلة زيادةً على الفرض وهو حفيد ابرهيم لا ولدهُ من صلبهِ وحسب المبدأ الطبيعى يقال هو هِبَة الله لاسحق لا لابرهيم على انهُ لو كان يعقوب اخو اسحق من ابرهيم وُلِد لهُ بعد اسحق بدون طلب ابرهيم لصح القول واعطاه الله يعقوب زيادةً على ما طلب اذ هو اى ابرهيم طلَبَ ولداً فزادهُ الله آخر من صلبهِ ولمّا لم يكن كذلك فلا يصح ان يُقال عن يعقوب انهُ نافلة لابرهيم

ثم انهُ يوجد اختلاف بيّن بين الامامين الرازى والبيضاوى فى تفسير الآية الخامسة والعشرين فى سورة العنكبوت وهى "ووهبنا لهُ اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريتهِ النبوّة والكتاب الخ".. فان الرازى يقول فى مَعْرَض الجواب عن مسئلة ان اسمعيل كان من اولاد ابرهيم الصالحين فلِمَ لم يُذكر (يعنى فى الآية) مع اسحق ويعقوب فيقال هو مذكور فى قولهِ وجعلنا فى ذريتهِ النبوّة ولكن لم يصرح باسمهِ والبيضاوى يقول فى تفسيرها يعقوب نافلة حين ايس من الولادة من عجوزٍ عاقرٍ ولذلك لم يُذكَر اسمعيل "النبوة" فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد بهِ الجنس يتناول الكتبَ الاربعة (يعنى التوراة والزبور والانجيل

والقرآن) اما قولهٖ فكثير منهم بصيغة الجمع يريد بهٖ الثلاثة ابرهيم واسحق ويعقوب وهو يوافق تفسير الرازي آية ٦٩ و ٧٠ من سورة الانبياء "وكلاً جعلنا صالحين اى وكلاً من ابرهيم واسحق ويعقوب انبياء مُرسَلين ..." واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدلّ على انهُ سبحانهُ خصّهم بشرف النبوّة فيتضح مما تقدم من قول البيضاوى (فى سورة العنكبوت) والرازى فى تفسيرهٖ الآية من سورة الانبياء ان القول "وجعلنا فى ذريتهٖ النبوة" انهُ يعني بذريتهٖ اسحق ويعقوب ونسلهما لا غير وهنا نسأل الامام الرازى اذا كان الله سبحانهُ خص ابرهيم وولدهُ اسحق وحفيدهُ يعقوب بشرف النبوة ألا يكون ذلك بياناً على ان اسمعيل لم يُنعَم عليهِ بهذا الشرف بلىَ وعليهِ فكيف تحقّ لك ان تقول ان اسمعيل مذكور فى قولهٖ وجعلنا فى ذريتهٖ النبوة حال كون غاية الآية هى اسحق ويعقوب ألا ان ذلك من قبيل الخلط الذى لم يكن جديراً بمثلك اما تأويل الامام البيضاوى لقول الآية "والكتاب" انهُ يريد بهٖ الجنس ليتناول الكتب الاربعة الذين منهم القران فهو فاسد من وجهين (الاول) اذا كان الذرية المجعول فيها النبوة هى اسحق ويعقوب ونسلهما حسبما تبيّن فيما تقدم يكون لامراء المراد والكتاب هو كتاب تلك الذرية لان الكتاب معطوف على النبوة فلا يصح تخصيص النبوة بذرية ابرهيم المشار اليها دون الكتاب المعطوف عليها اذاً خُصَّ بنو اسرائيل من الله بالكتاب كما بالنبوة (الثانى) ان الكتاب المعرّف بألْ هو الكتاب المشهور وهو التوراة والانجيل حتى دُعى فى القرآن اليهود والنصارى اهل الكتاب وهو ارث لبنى اسرائيل اورثهم الله اياهُ دون غيرهم اى هو سبحانهُ جعل الانبياء الذين اوحى اليهم كلام الله وكتبوهُ وجمعوهُ الى كتاب من بنى اسرائيل دون غيرهم ويؤيد ذلك قول القرآن ولقد اتينا موسى الهُدىَ واورثنا بنى اسرائيل الكتاب هُدىً وذكرىَ لاولى الالباب (سورة المومن آية ٥١) وان قيل ذلك يخرج الانجيل من الكتاب قلنا كلاّ لان يسوع المسيح وحواريهُ هم اسرائيليون من نسل اسحق ويعقوب ذرية ابرهيم المباركة فحاصل ما تقدم (١) ان النبوة والكتاب خاصّان ببنى اسرائيل (٢) ان اسمعيل ابن ابرهيم من الجارية ليس هو هبة الله لابرهيم كاخيهِ وابن اخيهِ وليس هو نبى ولا جد نبى طبقاً لما تقدم من قولهِ تعالى فى التوراة ان باسحق يُدعىَ لك نسل وقولهُ لابرهيم واسحق ويعقوب وعداً وبنسلك تتبارك جميع قبائل الارض فما احق اذاً القول فى القرآن لبنى اسرائيل وانى فضلتكم على العالمين

"وقال (ابرهيم) انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بُنيّ انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاءَ اللّه من الصابرين فلما أسلما وتلّهُ للجبين وناديناهُ ان يا ابرهيم قد صدّقت الرُّويا انا كذلك نجزى المحسنين ان هو البلاُ المبين وفديناهُ بذبح عظيم وتركنا عليهِ فى الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين انهُ من عبادنا المؤمنين وبشرناهُ باسحق نبيًا من الصالحين وباركنا عليهِ وعلى اسحق ومن ذريتهما مُحسنٌ وظالمٌ لنفسهِ مبين" (سورة الصافات آية ٩٥-١٠٩)

(التفسير) (خلاصتهُ) انى ذاهب الى رَبّي اى مهاجر الى ارض الشام مواضع دين ربى "هب لى من الصالحين" يعنى بعض الصالحين يريد الولد فوهب له اسحق كما قال تعالى "ووهبنا له اسحق ويعقوب" وقيل ان هذا اشتمل على ثلاثة اشياء على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ الحلم وانه يكون حليماً واى حلم يكون اعظم من ولد حين عرض عليهِ ابوه الذبح قال ستجدنى ان شاءَ الله من الصابرين (الى ان يقول) وفى تفسير آيات الذبيح مسائل عديدة ونحن نكتفى بذكر اثنتين هما اشهرها (المسألة الاولى) فى تفسير لفظة انى ارى فى المنام انى اذبحك وجهين (الاول) قال السدى كان ابرهيم حين بُشِّر باسحق قبل ان يولد لهُ قال هو اذاً لله فقيل لابرهيم قد نذرت نذرًا فِفِ بنذرك فلما اصبح قال يا بُنيّ ارى فى المنام انى اذبحك وروى عن طريقٍ آخر انهُ رأى ليلة التروية فى منامهِ كأنّ قائِلاً يقول لهُ ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح تروّى فى ذلك الصباح الى الرواح أَمِنَ الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثَمّ سُمِّي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انهُ من الله فسُمِّي يوم عرفة ثم رأى مثلهُ فى الليلة الثالثة فهمّ بنحرهِ

فسُمّي يوم النحر فهذا هو قول اهل التفسير وهذا يدلّ على انهُ رأى في المنام ما يوجب ان يذبح ابنهُ في اليقظة (الثاني) انهُ رأى في المنام انهُ ذبحهُ ورؤيا الانبياء عليهم السلام من باب الوحي وعلى هذا القول فالمرئي في المنام ليس الّا انهُ يذبح (المسألة الثانية) اختلفوا في ان هذا الذبيح من هو فقيل انهُ اسحق وهذا هو قول عُمَر وعلي والعبّاس بن عبد المُطّلب وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل رضي الله عنهم. وقيل انهُ اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عُمَر وسعيد بن المُسيّب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي واحتجّ القائلون انهُ اسمعيل بحجج (منها) ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال لهُ اعرابي يا ابن الذبيحين (اي اسمعيل وعبد الله ابو محمّد) فتبسّم فسُئِل عن ذلك فقال ان عبد المُطّلب لمّا حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهّل لهُ امرها ليذبحنّ احد ولدهِ فخرج السهم على عبد الله فمنعهُ اخوالهُ وقالوا لهُ افدِ ابنك بمئة من الابل ففداهُ بمئة من الابل والذبيح الثاني اسمعيل (ومنها) نقل عن الاصمعي انهُ قال سألتُ ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يااصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكّة وانما كان اسمعيل بمكّة والذي بنى البيت مع ابيهِ المنحر بمكّة. (ومنها) الاخبار الكثيرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة فكان الذبيح بمكّة ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبيح بالشام.

واحتجّ من قال ان ذلك الذبيح هو اسحق بوجهين (الاول) ان اول الآية وآخرها يدلّ على ذلك امّا اولها فانهُ تعالى حكى عن ابرهيم عليهِ السلام قبل هذهِ الآية انهُ قال اني ذاهب الى ربّي سيهدين واجمعوا على ان المراد منهُ مهاجرتهُ الى الشام.

ثم قال فبشرناهُ بغلام حليم فوجب ان يكون هذا الغلام ليس الّا اسحق ثم قال بعدهُ فلما بلغ معهُ السعي وذلك يقتضي ان يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معهُ السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام فثبت ان مقدمة هذهِ الآية تدلّ على ان الذبيح هو اسحق واما آخر الآية فهو ايضاً يدلّ على ذلك لانهُ تعالى لما تمّم قصة الذبيح قال بعدهُ وبشرناهُ باسحق نبياً من الصالحين ومعناهُ انهُ بشرهُ بكونهِ نبيًا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصّة يدل على انهُ تعالى انما بشرهُ بهذهِ النبوة لاجل انهُ تحمّل هذهِ الشدائد في قصة الذبيح فثبت بما ذكرنا ان اول الآية وآخرها يدل على ان الذبيح هو

اسحق عليهِ السلام (والثاني) والحجة الثانية على صحة ذلك ما اشتهر في كتاب يعقوب الى يوسف عليهِ السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان الزجاج يقول الله اعلم ايّهما الذبيح والله اعلم واعلم انهُ يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو اسمعيل قالوا كان الذبح بمنى والذين قالوا انه اسحق قالوا هو بالشام وقيل ببيت المقدس والله اعلم (الرازي وجه ١٥٣ و ١٥٥ و ١٥٦)

(ملاحظة) انهُ لامرٍ يدعو الى العجب العجاب كيف ان مسلمي ايامنا بعد كل هذا البيان يعتقدون ان الذبيح هو اسمعيل فاي ذي ادراكٍ ونصفةٍ لا يري مما تقدم ان الذبيح هو اسحق وذلك من ثلاثة وجوه (الاول) ان هبة البنين لابرهيم اجابةً لدعائهِ "ربِّ هب لي من الصالحين" حسب تفسير آية ٦٩ و ٧٠ من سورة الانبياء (انظر وجه ٧٥) انما كانت اسحق وبعدهُ يعقوب وهو وفق الآية الاولى من الآيات التي اوردناها من سورة الصافّات (انظر وجه ٧٦) التي تذكر دعاء ابرهيم "ربِّ هب لي من الصالحين" واجابة الله لدعائهِ "فبشرناه بغلامٍ حليم" ثم تبين الآيات التالية لها ان هذا الغلام هو الذبيح ومن المعلوم انهُ لا يُذكَر في القرآن ان ابرهيم بُشّر بغلام سوى اسحق فعليهِ لا محل للريب يكون الذبيح هو اسحق كما علم ذلك عُظَمَاءُ الصحابة وجاهروا بهِ.

(الثاني) لان الذاهبين بان الذبيح هو اسحق هم اولى كثيراً بالتصديق من الذاهبين انهُ اسمعيل وذلك من ثلاثة وجوه (الاول) لان عدد منهم كعُمَر والعبّاس وعلي وكعب الاحبار هم ركن الاسلام وعمدته اذ هم اكابر الصحابة المُقرّبين الى محمد فهم لا جَرَم ادرى بمعاني القرآن من خلفائهم ولا سيّما الامام عُمَر المشهور بحسن الرأي واصابتهِ الذي اجمع الصحابة على علو منزلتهِ عند الله بعد محمد لما انهُ قد نزلت عدّة آيات تباعاً لرائِهِ كآية منع محمد من الصلاة على من مات من المنافقين وآية الحجاب للنساء الى غير ذلك حتى قال لهُ محمد ياعُمَر لو لم ابعث نبيًّا لبُعِثتَ انت الثاني لان عدد من القائلين ان الذبيح هو اسمعيل هم بنو اوليك العظام ودونهم من كل الوجوه فليس من الاصابة ان يعتمد قولهم دون قول آبائهم وإباؤهم هم الاقرب الى محمد ولزمتهُ وعمدتهُ المشهود لهم كما تقدم بالدراية وعلو الفضل (تنبيه) يلوح للقاري

العزيز من رأي هؤلاء المتأخرين كأنهم رأوا اهمية الاعتقاد بكون اسمعيل هو الذبيح ليكون ذلك في الاسلام اساساً للزعم بان المنحر كان بمكة ولانهم قليلون بالنسبة الى عدد القائلين ان الذبيح هو اسحق ودونهم فضلاً وعلماً بالدين راموا تعزيز رأيهم ورجحان كفتهم بما اوردوهُ من الحديث عن محمد والاعرابي (انظر وجه ٧٥) الذي كل عاقل مُدرك يري انهُ لو كان هذا الحديث قرين الصحة لما خُفي على العباس عم محمد وعلى علي ابن عمه وصهرهِ وعلى عُمَر بن الخطاب عمدتهِ وصاحب سرهِ الشديد والحرص على اقوالهِ ونكتهِ ولما كان لهم مجال للقول بخلافهِ ثم وهو بعيد ان محمداً يقول او يَدّعي خلاف الآيات القرآنية من هذهِ الحيثيّة لان المسألة في القرآن خبرية لا شرعيّة فلا مدخل فيها للنسخ (الثالث) لان الأخذ بقول القائلين ان الذبيح هو اسمعيل هدم للاسلام لان المُسْلِم الذي لا يعتمد رأي كُبرآ الصحابة كالمشار اليهم في مثل هذهِ المسألة يهدم اركان الثقة بهم وذلك يؤدي لا محالة الى اعدام اليقين بالقرآن الذي هم كتبتهُ وشهودهُ والمعوّل عليهم في جمعهِ ونشرهِ فمن يَرتضي من المسلمين ذلك لنفسهِ واذا لم يرضوا بهِ وجب عليهم الاجماع بان الذبيح هو اسحق وفقاً لآيات القرآن ولمفهوم واقرار اولئك الصحابة المقربين واذا اجمع المسلمون على ان الذبيح هو اسحق وجب اجماعهم على ان المنحر بالشام واذا كان المنحر في الشام في ارض بيت المقدس حيث افتدا الله اسحق بالكبش وجب اذا رأوا النحر سنوياً لله ان يأتوا ذلك في بيت المقدس او على احد جبالهِ لاجبال مكة

(الثالث) ما قيل في تأويل آية ٤٣ من سورة ص وهو "واذكر عبدنا ابرهيم يامحمد" صبر ابرهيم حين ألقي في النار وصبر اسحق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولدهُ وذهب بصرهُ وهو وفق ما قيل انهُ اشتهر من كتاب يعقوب الى يوسف ابنهِ (راجع وجه ٧٥) وتأويل الآية اعلاهُ هو للامام الرازي كما سترى فيما يأتي. فعجباً لهذا الامام المشهور في عصرهِ بالفضل والشرح للقرآن كيف بعد تأويلهِ الآية هكذا يقول بعد ذكرهِ للحزبين وكلاهما في مسئلة ايهما الذبيح من ولدي ابرهيم. والله اعلم (انظر وجه ٧٥) نعم الله عزّ وجلّ أعلم كل عليم غير ان هذهِ الكلمة من عالم امام نظيرهِ بعد البيان كون الذبيح هو اسحق من آيات القرآن واكابر الصحابة ومن تفسيرهِ هو للآية المشار اليها يعدّ لهِ التواءً ومثالاً للريب بكل حقيقة.

واما جواب ابي عمرو للاصمعي يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة والذى بنى البيت مع ابيهِ والمنحر بمكة فليس هو بجواب ولا حجّة بل هو دليل على صغر عقل المجاوب فلا عبرة له عند أولي الدراية والتعقل واتفكر ان الاصمعي بالنظر الى قوّة عقلهِ وحدّة ذكائهِ لم يَعِر هذا الجواب الفارغ شيأً من الاعتبار واذا كان سكت فما ذلك منهُ الا مراعاةً للميل العام كدأب كثيرين من الشعرا والادبا الذين يبتغون الخواطر مراعاةً للمصلحة وبعد فانهُ مشهور ان محل النحر والذبح لله كان بيت المقدس في اورشليم من ايام داود النبي الى ان خربت المدينة والهيكل بايدي الرومانيين بعد المسيح بنحو اربعين سنة في نفس المكان الذي فيهِ قدّم ابرهيم ابنَهُ ليذبحهُ لله طوعاً لأمرهِ تعالى فافتداه الله بكبش كما نرى في التوراة (انظر تك ٢٢ : ١-١٥) وما يُضحك الشكلي اتخاذ قرن كبش مُعلّق في الكعبة دليلاً على ان الذبيح كان اسمعيل الذى على زعمهم كان متوطناً مكة فانعم بهِ من دليل أكأن لا كبش في الحجاز الا الكبش الذى قدمهُ ابرهيم بدلاً من ابنهِ ولا قرون الا قرونه انهُ لمن المعلوم ان حرم مكة هُدم بعد اسمعيل مرّة او مرّتين ثم بُني اوسع وأجْمل فهل بقي قرن ذلك الكبش معلقاً في الكعبة او بُدِّل بقرنٍ آخر على اني لا اقدر ان أصدّق ان المسلمين من ذوي التعقل كالامام الرازي وغيرهِ يعيرون مثل هذهِ الحكاية شيأً من الاعتبار وما يريك اكثر فاكثر خرافة الحكاية هو ان ابرهيم أُمِر بتقديم ابنهِ في قفرٍ خالٍ من الانس لا في مسجدٍ معمور مُحاطًا بالناس

"واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدى والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار" (سورة ص آية ٤٥-٤٨)

(التفسير) ملخصهُ واذكر عبدنا ابرهيم يا محمد صبر ابرهيم حين أُلقي في النار وصبر اسحق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولدهُ وذهب بصرهُ "اولي الايدى والابصار" اى اولي الاعمال والمعارف والادراك "وانا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار" فيها مسائل ووجوه (الاول) المراد من ذلك انهم استغرقوا في

ذكرى الدار الآخرة وبلغوا في هذا الذكر الى حيث نسوا الدنيا (الثاني) المراد حصول الذكر الجليل الرفيع لهم في الدار الآخرة (الثالث) المراد انهُ تعالى ابقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقبل دعاءهم في قولهِ واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين ثم قال "واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكلٌّ من الاخيار وهم قوم آخرون من الانبياء تحمّلوا الشدائد في دين الله" (الرازي مجلد سابع وجه ٢٠٩ و ٢١٠)

وتفسيرها من البيضاوي هو اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او أولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبّر بالايدي عن الاعمال وبالابصار عن المعارف بيضاوي مجلد ثاني وجه ٢٧٣

(ملاحظة) ان الآية المتقدم ذكرها هي الآية الخامسة التي تخيّل للقاري العزيز كأن اسمعيل ليس هو من عائلة ابرهيم حال كونهِ ولدهُ من صلبهِ اذ لم يُخصّ فيها مع ابرهيم واسحق ويعقوب بالذكر ولا نُعِت معهم بالفضل وذلك جديرٌ بان يأتي بالمسلم النبيه الى نقطة العجب والحيرة كيف ان الله تعالى يأمر محمداً بذكر كل من ابرهيم واسحق ويعقوب ناعتاً اياهم بفضل العلم والعمل دون جدهِ اسمعيل ثم يا ترى فتأمل يا قاري القرآن وأدهش ان في الآيات الاربع السالفات ذُكِر اسحق ويعقوب كهبتي الرحمن لابرهيم بدون التفات الى اسمعيل كانهُ لم يكن وعبثاً ما حاول بعض الشراح خرط ذكرهِ ولو بمعنى بعيد في ذرية ابرهيم المجعول فيها من لدنهِ تعالى النبوة والكتاب كما قد رأيت فيما مر من الملاحظات على تأويل تلك الآيات وفي هذهِ الآية نُعِتَ ذَينك النبيين مع ابيهما نعتَين لم يُنعَت بهما سواهم "اولي الايدي والابصار" امّا اسمعيل فهو مُحصىً من جملة الاخيار ان كان هو المراد في آية ٤٦ على انهُ يخال للقاري المدقق من الآية وتأويلها كأن المذكور فيها ليس هو اسمعيل بن ابرهيم بل آخَر لاشماله بالذكر مع اليسع وذا الكفل ولا يخفى ان المدة بين اسمعيل بن ابرهيم واليشع نحو الف واربع سنين (اي من ولادة اسمعيل الى بعثة اليشع نبيّاً) انظر في التوراة (تك ١٦ : ١٥ و ١ مل ١٩ : ١٩) فبلوح لك من ذلك ان القرآن يريد في هذهِ الآية ذكر اسماعيلاً آخر معاصراً لاليشع والّا فذكر اسمعيل بن ابرهيم مع اليشع في الآية في غير محلهِ ولو ذُكِر مع يوسف بن يعقوب لكان ذلك اقرب للفهم انهُ ابن ابرهيم اما من جهة التأويل فيقول عن اسمعيل واليسع وغيرهم "هم قوم آخرون من الانبياء تحمّلوا الشدائد

في دين الله فيرى ان هؤلا الشراح لو اعتقدوا ان اسمعيل المذكور في الآية هو ابن ابرهيم لاشاروا الى نسبهِ لابرهيم لاسيما وان ذكر اسمه مقارن لذكر اسماء ابرهيم واسحق ويعقوب ولما ضموهُ مع قومٍ آخرين لجملة التي تشقّ عن بعد عصر هؤلاء القوم عن عصر ابرهيم وبنيهِ فسواء كان المذكور في الآية ابن ابرهيم او غيرهُ ليس لذلك اهمية باعتبار المسألة التي نحن في صدّدها ويكفي للقارئ النبيه ان الآية تذكّر محمداً بهولاء الآباء الثلاثة مستثنية من ذلك جدّهُ اسمعيل كغير مستحق ان يُحصَى بينهم آفلا يشقّ ذلك على ان بركة الله للعالم هي في ذرية ابرهيم من اسحق ويعقوب دون اسمعيل مصداقاً لوعدهِ تعالى المكرّر لكلٍّ منهم بدورهِ " وفي نسلك تتبارك جميع قبائل الارض (راجع النظر في وجه ٨٦)

تذييل

لقد بدَى لنا من الآيات التي اوردناها في هذا الباب ومن تأويلها ثلاثة امور كليّة . (الاول) كون بني اسرائيل افضل العالمين كما انه اقام الله تعالى منهم الانبياء والمرسلين الذين اعظمهم وسيدهم المسيح كلمة الله وابنهُ الوحيد المدعو في القرآن كلمة من الله وروح منهُ الذى اتى بالبركة الاسنى للعالم اتماماً لوعدهِ تعالى المذكور اعلاه وخصهم بكتابهِ العزيز نوراً وهدىً لمن اهتدى وتفصيلاً لكل شيء (الثاني) ان غاية الله العظمى من جهة البشر هي في نسل ابرهيم من اسحق ويعقوب هبتي الله له (الثالث) كون الذبيح لله من اولاد ابرهيم هو اسحق فينتج من ذلك نتيجتان (الاولى) ان ليس لاسماعيل وذريتهِ نصيبٌ من النبوة والكتاب فلا نبيّ مُرسَل الّا من بني يعقوب ولا كتاب لله الا كتابهم (الثانية) ان محل الذبح لله هو في اورشليم لا في مكة.

ثم ان وجود مثل هذهِ الآيات في القرآن يقضي باعجب العجب لما انها تُرى القارئ ببيانٍ لا مزيد عليهِ عدم حيثيّة اسمعيل وذريتهِ عند الله بل انما كل الحيثيّة والبركة لاسحق ويعقوب وآلهما كأن اسمعيل عدّم في عدمٍ وطبيعيّ ان هذهِ الآيات تأتي لذهن المسلم الحرّ بالسوالات الآتية لِمَ يا ترى لم يُدرَج اسم اسمعيل مع اسحق ويعقوب كهبة الله لابرهيم ألّا كل البنين هبةٌ للآباء فما منع ذكر اسمعيل مع اخيهِ كهبة الله لابيهِ بل نقل الذكر من اسحق الابن الى يعقوب الحفيد كابن ولم يلتفت الى اسمعيل كانهُ ليس هو ابن ابرهيم او كأن

لا خيرَ فيهِ يؤهلهُ الى مثل هذهِ التجلّة هل يمكن ان يكون ذلك بدون داعٍ كلاّ وما هو هذا الداعي ليت شعري واني لا أرى في تأويل علمائنا لهذهِ الآيات وجوابهم على مثل هذا السؤال ما يُروى الغليل فليس هو سوى مواربة ومحاولة تشفّ عما في صدورهم من الضيق والحصر اللذين القتهما فيهِ هذه الآيات ولِمَ لمّا افرد اسمعيل بالذكر لم يقل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب كما قال عن ذرية ابرهيم تبعاً لذكر اسحق ويعقوب وعلى الاقل وجعلنا في ذريتهِ نبوةً وكتاباً ولِمَ لَمْ يدرج اسمهُ مع اسم ابيهِ ابرهيم واخيهِ وابن اخيهِ عند ما حضّ محمداً على ذكرهم كأولي الايدي والابصار أكان خالياً من العلم والعمل حتى لم تكن اهلاً لشملهِ بالذكر معهم فكيف هو اذاً نبيٌ الا ينتج من ذلك ان اسمعيل ليس هو كاخيهِ اسحق ولا كابن اخيهِ هبة الله لابيهِ ولا هو كابيهِ واخويهِ من اولي الايدي والابصار (اي المعارف والاعمال) انهُ ليس بنبي ولاوليّ فما بال القرآن اذاً يدعوهُ نبياً بقولهِ "واذكر اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً" (سورة مريم آية ٥٣) (ان كان هذا المذكور هو اسمعيل بن ابرهيم لان ذكرهُ بين موسى وادريس يرينا انه ابن ابرهيم) وان كان هكذا صادقاً ورسولاً نبياً فيكون هبة عظيمة من الله لابيهِ فلِمَ اذا لم يُقل عنه ذلك حين ذكر تعالى هبة البنين لابرهيم بل اقتصر على اسحق وابن اسحق كالوحيدين لابرهيم فحقاً ان في المسئلة اشكالاً لم نُحلّ ولن نُحلّ . . . اما نحن فنقول حقاً لا برهان اعظم واوسع وأوضح مما تقدم في القرآن على تخصيص بني اسرائيل باسنى النعم والبركات وكون منهم تجري مجرى المياه الفيّاض لادواء كافة الامم ومن هو ذو بصيرة اذا تدبّر مثل هذهِ الآيات في القرآن وقابلها على امثالها في التوراة لا يرى ان نسل ابرهيم واسحق ويعقوب بركة الامم هو يسوع المسيح كلمة الله محيي الاموات والقلوب واي حاجةٍ يا ترى تحتاجها امم الارض مثل احياء قلوبهم وانفسهم فاذا كان عيسى المسيح المدعوّ في القرآن روح الله بمعنى انهُ يحيي الاموات والقلوب حسب تأويل الامام البيضاوي (مجلد اول وجه ٢٩١) وحسب الرازي سبباً لحياة الخلق في اديانهم (رازي مجلد ثالث وجه ٥١٢) وكان نَسبهُ اسرائيليًّا من ذرية يعقوب أفلاً تكون صادقة كلمة الله في التوراة ليعقوب "وبنسلك تتبارك جميع امم الارض" (تك ٢٨ : ١٤) فعليه اذا تباركت امةٌ من الامم على الارض بركة تحيي منها القلوب والاجساد فانما تتباركها بنسل يعقوب الذي هو المسيح فتأمل

الباب السادس

في الآيات اللامحة الى لاهوت المسيح

"اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين" (آل عمران آية ۴۴ و ۴۵)

(التفسير) ملخصهُ "كلمة منهُ" هو لان السبب المتعارف كان مفقوداً في حق عيسى عليهِ السلام وهو الاب فلا جرم كان اضافة حدوثهِ الى الكلمة أكمل واتم فيجعل بهذا التأويل كأنّهُ نفس الكلمة كما ان من قلب عليهِ الجود والكرم والاقبال يقال فيهِ على سبيل المبالغة انهُ نفس الجود ومحض الكرم وصريح الاقبال فكذا ههنا "المسيح" في ذلك مذاهب نأتي بملخص بعضها. منها انهُ مُسِح من الاوزار والآثام ومنها انهُ كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يُمسَح بهِ الانبياء ومنها لانهُ مَسَحهُ جبريل بجناحهِ وقت ولادتهِ ليكون ذلك صوناً لهُ عن مس الشيطان ومنها لانهُ خرج من بطن امهِ ممسوحاً بالدهن قال ابو عَمْر بن العلاء المسيح الملك "وجيهاً في الدنيا والآخرة" في الدنيا بسبب النبوّة وفي الآخرة بسبب علو المنزلة عند الله تعالى وايضاً فهو وجيهٌ في الدنيا بسبب انهُ يستجاب دعاؤهُ ويحيي الموتى ويبرئ الأكمه والابرص بسبب دعائهِ ووجيه في الآخرة بسبب انهُ يجعلهُ شفيع أمتهِ ويقبل شفاعتهُ فيهم (ثالثاً) انهُ وجيهٌ في الدنيا بسبب انهُ كان مبرّأ من العيوب التي وصفهُ

اليهود بها ووجيهٌ في الآخرة بسبب كثرة ثوابهِ وعلوّ درجتهِ عند الله تعالى ثم ومن الاسئلة في كلمةٍ منهُ هذا السؤال وهو الضمير في قولهِ اسمهُ عائدٌ الى الكلمة وهي مؤنثة فلِمَ ذُكّر الضمير الجواب لان المسمّى بها مذكّر (رازي مجلد ٣ وجه ٦٧٦)

وتفسيرها في الجلالين "الملائكة" جبريل "وكلمةٌ منهُ" اي ولد وجيهاً في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنبوّة وفي الآخرة بالشفاعة والدرجات العُلىَ ومن المقرّبين عند الله " ويكلم الناس في المهدِ اي طفلاً قبل وقت الكلام" (جزء اول وجه ٦٠)

(ملاحظة) لا يَرى القاري النبيه في تفسير كلمة منهُ والجواب على ضميرَي المؤنث والمذكر في الآية اصابة المرمى من وجهين (الاول) انهُ لا يشتمّ من الاية رائحة الاضافة الى الكلمة حتى يسوغ للامام القول كان اضافة حدوثهِ الى الكلمة فيظهر ان حضرتهُ اتى بها من قبيل التخمين والحدس واذا كان السبب المتعارف مفقوداً في عيسى وهو الاب وكان الوحي من الله عنهُ انهُ كلمةٌ منهُ ودلّ ذلك على ابوّة الله له على نوعٍ يجلّ ويسمو جدًا عن ابوة الانسان لابنهِ ففي الآية لمحة باهية الى هذا الامر السرّي لا اضافة الامام المذكورة (الثاني) لا يُعتبر جوابهُ لان المسمّى بها مذكّر جواباً لذلك السؤال لانهُ اذا كان الضمير في اسمهِ عائداً الى الكلمة فالكلمة تكون ذاتاً ولا فرق ان كان المسمى بها مذكرا او مؤنثاً فلو قيل "ان الله يبشرك بكلمةٍ منهُ اسمها مرثا" يبقى المعنى هو هو ان تلك الكلمة العائد اليها ضمير المسمّى هي ذاتًا لكون البشارة ابانت ذاتيتها واذا كانت هذهِ الكلمة المُبشّر بها ذاتًا من الله فما تكون ليت شعري هذهِ الذات. من المعلوم ان المسلم المتعصّب لا يَرى لزوم البحث في هذهِ القضيّة النَسَبيّة بحثاً قانونياً لما يُخال له فيها من الالماع الى لاهوت المسيح بل يَرى الاغضاء عنها اولَى الامر الغير جدير بذي التعقّل فاملنا كبير بالعاقل الحُرّ الضمير ان لا يتخطّا هذهِ النقطة الهامة قبل ان ينظر اليها من كل وجوهها ويمنحها حقها من التأمّل والمقابلة مع ما ماثلها من آيات انجيل الله لان من شأن العاقل الحُرّ عدم الاكتفاء بالتأويل البعيد ولو كان المأوّل من ذوي العلم والمقام بل لا بد له من استعمال عقلهِ في تقدير الشئ حق قدرهِ باعطائهِ حقه من التأمّل والبحث والوزن والمقابلة فانظر ان الإمام لم يَرَ في هذهِ الآية من بابها

بل كمن يروم التخلص من كذا نقطع صحة أوّل الاية تأويلاً موافقاً لعقيدة الاسلام غير مبالٍ بما هو عليهِ من الوهن والبون الشاسع بينهُ وبين محجة الصواب او ان الغرض العمَيّ سدل على عقليهِ المارّ حجاباً كثيفاً فلم يرَ نور معناها البهي

اما المذاهب المختلفة بشان اسم المسيح تبيّن عدم بلوغ القوم حقيقة معناهُ والمراد بهِ وما ذلك الا لخلو القرآن من الاشارة الى معنى هذا الاسم وذلك توجّه بعقل القارئ النبيه الى سؤالين مهمين (الاول) لِمَ امتاز عيسى ابن مريم بهذا الاسم الذي لم تتسمّ بهِ سواهُ من الانبياء والمرسلين (الثاني) هل في شخص عيسى امرٌ دون شخصية الانبياء والمرسلين اهّلهُ لهذا الاسم (المسيح) ومن يقدر على اعطاءِ الجواب الصحيح لهذين السؤالين غير كتاب الله التوراة والانجيل وهو لان الله مسحهُ بالروح القدس ملكاً على اسرائيل وكل الامم "واقامهُ رباً ومسيحاً" وانهُ استحق هذا الاسم وامتاز بهِ لامتيازهِ في شخصيته عن كلما سواهُ من انبياء الله كونهُ من الله ابنهُ وكلمتهُ بهِ للحياة الابدية فكما امتاز في القرآن بكونهِ كلمة من الله وروح منهُ امتاز بلقب المسيح كسيد العالمين وملكهم فالاولى علة الثانية والثانية دلالة على معنى الأولى فتأمل

وتعجبك احد هذه المذاهب "لانهُ خرج من بطن امهِ ممسوحاً بالدهن فهل في احشاءِ مريم دهن واذا كان هذا الشخص العجيب في حاجةٍ الى مسحة الدهن لبعض ملوك اسرائيل فاسير ان يُعقل لهُ ذلك على اثر ولادتهِ واذا كان على زعمهم مسيحٌ في بطن امهِ فلا يكون ذلك بدهن بل بالروح القدس بمناسبة ما جاءَ في الانجيل حين بُشّرت امهُ بهِ " الروح القدس يحلّ عليكِ وقوة العلي تظللكِ فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) واذا كان عيسى ابن مريم مُسيحٍ وهو في بطن امهِ فذلك من جملة الدلائل على كونهِ شخصاً فوق العادة يسمو جداً عن كافة انبياء الله ومرسليهِ الذين لم يُقل عن احدهم شيءٌ من مثل ذلك اما (تأويل) "وجيهاً في الدنيا والآخرة" وهو وجاهتهُ في الدنيا بسبب النبوة وبسبب انه يستجاب دعاؤهُ ويحيي الموتى الخ . . . وبسبب انهُ كان مبرأ من العيوب التي وصفهُ اليهود بها ووجاهتهُ في الآخرة بسبب علو منزلتهِ او درجتهِ عند الله تعالى وانهُ يجعلهُ شفيع امتهِ المحقين فهو تأويل مقبول وذلك يكشف ايضاً عن امتياز المسيح العالي عما سواه من الملائكة والبشر فنظر ان وصف المسيح بهاتين الآيتين النيرتين

اشبه بحلقات سلسلةٍ ذهبيّةٍ كل حلقة منها تلقى نوراً على ما قبلها تزيد معناها جلاءً ووضوحاً وهى جملةٌ تبين غرابة المسيح كلمة الله بانهُ نبى لا كانبياء ومسيحاً لا كالمسحاء بل هو المسيح العجيب النسب والغريب الولادة المقتدر والوجيه فى الدارين فتأمّل

"اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلّم الناس فى المهد وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى. وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحرٌ مبين" (سورة المائدة آية ١١١)

(التفسير) فيهِ وجهان (الاوّل) ان الروح هو جبريل والقدس هو الله كأنهُ تعالى اضافهُ الى نفسهِ تعظيماً لهُ (الثانى) ان الله خصّ عيسى بالروح الطاهرة النورانيّة المشرقة العلويّة الخيرة "تكلم الناس فى المهدِ وكهلاً" اما كلام عيسى فى المهد فهو قولهُ انى عبد الله اتانى الكتاب وكذا فى حال الكهولية من غير ان يتفاوت كلامهُ فى هذين الوقتين وهذهِ خاصيّة شريفة كانت حاصلة لهُ وما حصلت لاحدٍ من الانبياء قبلهُ ولا بعدهُ (رازى مجلد ثالث وجه ٦٩١)

(ملاحظة) لم يبيّن لنا الامام فى تفسيرهِ هذه الآية اى الوجهين صواب وايّهما خطأ او ايّهما اقرب الى الصواب الامر الجدير بالمفسّر. فنقول انا نرى الوجه الاوّل خطأ باعتبار القرآن وخطاءهُ ظاهر من وجهين (الاول) انهُ لم يُقل فى القرآن لمحمدٍ مثل ذلك حال كونهِ يقول لهُ فى القرآنِ "نزّلهُ روح القدس من ربّك بالحق" نزل بهِ الروح الامين على قلبك "انظر" سورة النحل آية ٩٩ و ١٠٠ والشعراء آية ١٨٩ و ١٩٠

(الثاني) ان المسيح سُمّي في القرآن روحٌ من الله ومن تفسير ذلك انه روحٌ من الأرواح الشريفة العالية القدسيّة اضافهُ تعالى الى نفسهِ لأجل التشريف والتعظيم فبقي ان المراد بقول الآية ايدتك بروح القدس هي تلك الروح العالية او هي التي خُصّ بها حسب الوجه الثاني على ان في ذلك اشكال لدى اهل القرآن لا ارى لهم سبيلاً الى حلّهِ وهو اذا كان المسيح روحاً من الله اى من الأرواح الشريفة العالية القدسيّة شرفها الله وعظمها باضافتها الى نفسهِ فهي لامراء روح القدس فكيف اذ ذاك يخاطبه اني ايّدتُك بروح القدس هل يؤيّد روح القدس بروح القدس وهل المسيح وهو تلك الروح السامية المقام عند الله تحتاج الى تأييد روحٍ دونها تقدّيرها على عمل الآيات المعجزات كلّا بل ان هذا التأييد انما يجوز على من ليس هو من روح الله

ثم ان هذهِ الآية وتفسيرها اعظم دليل على سمو المسيح ورفعة شانه فوق كل الانبياء والمُرسَلين لما انهُ تعالى خصهُ بالروح الطاهرة النورانية المشرقة العلوية الخيّرة فنسأل المسلِم المخلِص ما هذهِ الروح التي خُصّ بها المسيح من الله اذاتٌ هي ام نعمة فان قال نعمة قلنا لهُ وما تلك النعمة اوحيٌ هي ام قداسة فان قال هي نعمة الوحي او التقديس نقول بطل القول ان المسيح خُصّ بها لإنعامهِ بمثلها على بقية انبيائهِ ومُرْسَليهِ ويكون عبثاً القول "وروحٌ منهُ" وان قال بل ذات فيكون قد وافق معتقد اصل الانجيل الذى هو ان المسيح ذو طبيعتين الواحدة من الله والأخرى من الانسان فانّ لهُ الخروج من هذهِ الدائرة والسبيل الى حل هذا المشكل

"يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على اللّهِ الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّهِ وكلمتهُ القاها الى مريم وروحٌ منهُ فامنوا باللّهِ ورُسُلهِ ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما اللّه الهٌ واحد سبحانهُ ان يكون لهُ ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى باللّهِ وكيلاً" (سورة النساء آية ١٦٨)

(التفسير) (خلاصتهُ) لا تغلوا في دينكم لا تفرطوا في تعظيم المسيح

"وكلمته" المعنى انهُ وُجد بكلمة آللّه وامرهِ من غير واسطة ولا نطفة "وروح منهُ" ففى ذلك وجوهٌ شتى منها (اولاً) انهُ من نفخة جبريل. والمراد من قولهِ منهُ التشريف والتفضيل كما يقال هذهِ نعمةٌ من اللّه (الثانى) انه كان سبباً لحياة الخلق فى اديانهم ومن كان كذلك وُصِف بانهُ روح. (الثالث) روحٌ منهُ اى رحمة منهُ فلما كان عيسى رحمةً من اللّه على الخلق من حيث انه كان يرشدهم الى مصالحهم فى دينهم ودنياهم لا جرَم سُمّى روحاً منهُ (الرابع) قولهُ روح ادخل التنكير فى لفظ روح وذلك يفيد التعظيم فكأن المعنى وروحٌ منهُ اى روحٌ من الارواح الشريفة العالية القدسيّة وقوله منهُ اضافةٌ لذلك الروح الى نفسهِ لاجل التشريف والتعظيم ومع ذلك فهو رسولٌ من رُسل آللّه فآمنوا بهِ كايمانكم بسائر الرُسل ولا تجعلوهُ الهاً (رازى مجلد ثالث وجه ٥١٢ و ٥١٣)

وملخص تفسيرها فى البيضاوى "وكلمتهُ القاها" اوصلها اليها وحصّلها فيها "وروحٌ منهُ" وذو روحٍ صدر منهُ لا بتوسط ما يجرى مجرَى الاصل والمادة لهُ وقيل سمى روحاً لانه كان يحيى الاموات والقلوب (مجلد اول وجه ٢١٩)

وتفسيرها فى الجلالين يا اهل الانجيل لا تتجاوزوا الحد فى دينكم ولا تقولوا على اللّه الا القول الحق من تنزيههِ عن الشرك والولد "انما المسيح عيسى بن مريم رسول اللّه وكلمتهُ القاها" اوصلها الى مريم وروح اى ذو روح "ومنه" اضيفَ اليهِ تعالى تشريفًا وليس كما زعمتم ابن اللّه او الهاً (جزء اول وجه ١٠٨)

(ملاحظة) ننظر اولاً فى قول الآية "يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم يعنى لا تفرطوا فى تعظيم المسيح حتى تعتبروهُ الهًا وابن اللّه فالخطاب فى الآية لاهل الانجيل فبقوله" يا اهل الكتاب يختم على ان الكتاب الحقّ بيدهم وهو من جملة اقوال القرآن الدالّة على امانة اهل الكتاب على كتابهم بحفظهم اياه من دنس التحريف كما قد رأيت بالكفاية فى الباب الرابع وعليهِ فكان الجدير بمحمد ان يبحث اوّلاً فى الانجيل قبل ان ينسب لاهلهِ الغلوّ فى دينهم حتى اذا رأى الانجيل يصف المسيح بن مريم الهاً وابن اللّه يُسلِّم بذلك او على الاقل يَعذُر اهلهُ على ايمانهم بالمسيح كابن اللّه واذا لم يَرَ وصف المسيح ونعتهُ فى الانجيل اكثر من عبد اللّه ورسولهِ يؤنّبهم بتقوّلهم على اللّه ما لم يُنزلهِ اليهم فى كتابهِ الذى بين ايديهم كما قيل انهُ فعَل فى حكمهِ بامر

الزانيين من يهود خيبر وهذا كان الاحرى بهِ لان نسب الغلوّ لاهل الكتاب في دينهم بدون دراسة كتابهم حق الدراسة يُعَدّ ظلمًا فلا يجدر بالمسلم العاقل الذى يترنّم بهذهِ الآية إغضاءُ الطرف عن قوّة استهلالها "يا اهل الكتاب" فاهمًا منها ان النصارى اهل الكتاب اى ان كتاب الله الحق هو عندهم وهم اهلهُ ومن ثَمّ لا يليق بهِ ان ينسب لهم الغلوّ في دينهم قبل الاطلاع الوافي على كتابهم الالهي فعوض ان يقول حسب الآية يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ان يقول يا اهل الكتاب ايتوني كتابكم لأرى فيهِ حقيقيّة او بطلان دعواكم ان عيسى بن مريم الاهٌ او ابن الله.

ثم اما كون المسيح رسول الله فهذا حقيق غير انهُ هو كلمة الله وابنهُ وذلك قلما يفرق عن نسبهِ في الآية "كلمتهُ وروحٌ منهُ" وَالاّ يليق ارسال الابن في بعض المهام كما يُرسَل العبد فقد يَرى الملك احياناً وجوب ارسالهِ ابنهُ في مهمةٍ دون غيرهِ ويقال عن ابنهِ في تلك الارساليّة انهُ رسول الملك وابنهُ ولانّ للمسيح هذهِ النسبة الالهيّة "ابن الله" في الانجيل تكراراً بصريح النص (انظر مت ١٤ : ٣٣ ومر ١ : ١ ولو ١ : ٣٥ يو ١ : ٣٤ و ٤٩ ورو ٣ : ١٨) فقد دعاهُ القرآن بما يَقرَب من ذلك اذ هو لم يكتفِ بنعتهِ بالرسالة قائلاً انما هو رسول الله بل زاد انهُ كلمتهُ وروحٌ منهُ فليس النصارى اذاً مُغالين في دينهم باعترافهم ان المسيح هو ابن الله بل هم شاهدون بالحق المنزل في الكتاب الذى الله امّنهم عليهِ ودعاهم اهلهُ فتأمّل امّا من جهة تأويل الآية الذى معظمهُ في كلمتهِ وروحٌ منهُ فاقول بخصوص تأويل "وكلمتهُ" ان تأويلها في الرازي لبعيد جداً عن محجة الصواب وهو احرى بهِ ان يُعتبَر هَرباً لا تأويلاً قال المعنى انهُ وُجِد بكلمة الله وامرهِ من غير واسطة ولا نطفة. جيدًا. وآدم وكل الخلائق وجِدت في البدء بكلمة الله وامرهِ فهل قيل في القرآن عن احدٍ منها انهُ كلمة الله وآدم والمسيح كلاهما بدون اب وكلاهما نبيّان ومع ذلك فقد امتاز المسيح عن آدم بنسبتهِ في القرآن لله "كلمتهُ وروحٌ منهُ" فعلى موجب تأويل الإمام يكون آدم ايضاً كلمة الله فهل يقول ذلك فكان على الامام عوض قولهِ "المعنى انهُ وُجِد بكلمة الله وامرهِ من غير واسطة ولا نطفة" ان يقول وما الداعي يا ترى لولادة المسيح على خلاف المجرى الطبيعي هل هو لانهُ كلمة الله وروحٌ منهُ نعم كان الاحرى بالامام ان يستدل بولادة المسيح هكذا على السر المتضمن في نسبتهِ لله "كلمتهُ وروحٌ منه" معتبراً تلك النسبة الالهية باعثاً

لولادتهِ بدون اب . لا ان يتخذ ولادتهُ هكذا سبباً لتلك التسمية "كلمتهُ" ولان ولادة المسيح بدون اب لم تكن من ضرورةٍ تدعو اليها كما في مسئلة خلق آدم يُستدلّ منها انهُ لا بُدّ من ان يكون الباعث اليها عجيب واذا المسلم اغضى طرفهُ عن الانجيل الذى يبيّن لهُ بوضوح وصراحة ذلك الباعث اتلهُ فليعتبر نسبة المسيح لله فى القرآن ككلمتهِ وروحٍ منهُ باعث لولادتهِ على خلاف المجرى الطبيعى وعليهِ فان تأويل الرازى المذكور عديم الاعتبار

اما تفسيرها ("وكلمتهُ") فى البيضاوى فتفرق كثيراً جداً عما فسّر الرازى . بقولهِ "القاها" اوصلها اليها وحصّلها فيها وكذا فى الجلالين اوصلها الى مريم فأنظر ان الامام البيضاوى جعل مريم كظرف لكلمة الله واذا كانت كلمة الله ذاتاً كما يُلمح من الآية الاولى فى هذا الباب (راجع وجه ٩١ و ٩٢) فيكون ايصالها من الله الى مريم وتحصيلها فيها من نوع الحلول وليس من فرقٍ بين القول ان الله حصّل كلمتهُ فى مريم وبين القول ان كلمة الله حلّت فى مريم واذا كانت كلمة الله ذاتاً حلّت فى احشاء مريم فهى الذات التى بُشرت بها "اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح" او هى حسب الانجيل ابن الله الوحيد الكائن الازلي وعلى كلٍّ لا نقدر ان نحكم هل مراد البيضاوى بهذا التأويل هو الحلول ام لا وانما سواءٌ كان مرادهُ هذا او ذاك يُرى ان تأويلهُ موافق كل الموافقة للقول ان الله يبشرك بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح فالحاصل من هذهِ الآية ومن تفسيرَي البيضاوى والجلالين المتقدمين ان الكلمة التى بشرت بها مريم هى ذاتٌ كانت قبل حلولها فيها وان ذلك هو العلّة لولادة المسيح منها من دون اب

اما تأويلهم "وروحٌ منهُ" فان الامام الرازي يورد على ذلك وجوهاً مختلفة كما قد رأيت وبتركها بدون ان يحكم ايّها صواب وايها خطاءٌ اما نحن فلا بأس علينا من النظر الى كلٍ من هذهِ الوجوه بما يستطاع من الايجاز فمن جهة الوجه الاول والرابع اللذين هما كما ترى كوجهٍ واحد نقول (اولاً) ان القول عن المسيح وروحٌ منهُ انهُ من نفخة جبرئيل يرفع جبرئيل كما لا يخفى التبه الى مقام الالوهية لاقتدارهِ على الخلق بنفخهِ وليس فقط على الخلق بل على خلق نبيٍّ ومسيحٍ تسامى على ما سواهُ من الانبياء . فالقائل بذلك قد ساوى جبرئيل بالله وهو لا يدرى كما ترى فى مسئلة خلق الله آدم اذ ترى الآية "فاذا سوّيتهُ ونفخت فيهِ من روحى فقعوا لهُ ساجدين" (سورة الحجر آية ٣٠) فعلى موجب

تاويل المؤوّل ان الله تعالى وجبريل سيّان فى المقدرة على ايجاد حيٍّ بالنفخة
نعوذ بالله من كفرٍ كهذا فكأنّى بالمأوّل اذ تعذّر على معدة ذهنهِ هضم القول
ان المسيح روحٌ من الله لمّا انهُ يبيّن علوّ منزلتهِ فوق كل نبيّ ومرسل ويواخي
نص الانجيل وايمان النصارى بالمسيح رام اخفاض كلمة الله الى ما هو دون
الملائكة بما ذهب فتهوّر الى وهدة الضلال ولم يدرِ. ذلك جزاءُ من تحاول
ابعاد الآيات عن معناها الاقرب ومفادها الاقوم لعدم رواقةٍ فى عينيهِ الغاشيتين .

اما عن الوجه الاول والثالث المفيدين ان المسيح سُمّي روحاً من الله لانهُ
كان سببًا لحياة الخلق فى اديانهم وانه رحمة من الله على الخلق الى آخر القول
اقول ما من بصيرٍ حُرّ الفكر يقدر ان يرَى استطاعة المسيح على احياءِ الخلق
فى اديانهم سببًا لوصفهِ بانهُ روح من الله بل انّما ذلك دليل لهُ على انهُ روح
من الله ولكونهِ روحاً من الله لهُ القدرة على احياءِ الخلق فعجبًا لهؤلاءِ المأوّلين
كيف يُعاكسون الآيات ويلوون الحقائق عن استقامتها بانهم يجعلون عمل
المسيح باحيائهِ الخلق سَبَبًا لوصفهِ بروحٍ من الله لا ان كونهُ روحاً من الله
يستطيع ذلك ومن ليتَ شعري يستطيع احياءَ الخلق من موتهم الروحى الاّ
روح الله او ابن الله وما اَشبَهَ القول عن المسيح انهُ سبب لحياة الخلق فى
اديانهم بالقول الانجيليّ منهُ " واما انا فقد اتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم
افضل انا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا " (يو ١٠ : ١٠ و
١١ : ٢٥) وهل من فرقٍ يُعتبَر بين قول المسيح هذا عن نفسهِ والقول فى
البيضاوى عنهُ. وقيل سُمّي روحا لانهُ كان يُحيي الاموات والقلوب (انظر وجه ٩٦)
فمن من الانبياء غير المسيح قيل عنه مثل ذلك حقًّا انهُ مهما اجهد الناس
انفسهم باخفاءِ انوار ابن الله لا يستطيعون نوال مرامهم بل رغماً عن كل
تحوّطاتهم تشعّ ببهائها الساطع من خِلال اقوالهم ثم انهُ كما كان البون عظيماً
بين الرازى والبيضاوى فى تفسير " وكلمتهُ " كذلك الامر بينهما فى كلمة " وروحٌ
منهُ " فان الاول كما رأيت يذهب فى بعض الوجوه التى اوردها انهُ روحٌ من
الارواح الشريفة العالية القدسيّة. والثانى ان المسيح ذو روح صدر منهُ (يعنى
من الله) لا بتوسّط ما يجري مجرَى الاصل والمادّة لهُ فما اقرب قول البيضاوى الى
نقطة الحق المعلَن فى انجيل الله. لانهُ اى فرق جوهرى بين القول ان المسيح
روح صَدر من الله وبين القول ان المسيح اتى من عند الله وهو ابن الله فأنظر
ما اعظم التلاميح فى هذهِ الآية وتاويلها الى لاهوت المسيح ابن الله وأعجب

من ان الناطق بهذه الآية ومؤوّليها بعد كل هذا البيان منهم عن غرابة المسيح وسمو طبيعته وامتيازه بنسبته لله هكذا "كلمتهُ وروحٌ منهُ" لا يعتبرونهُ اكثر من نبيء مُرسَل بمثابة باقي الانبياء والمُرسَلين فما مَثَلهم بذلك الّا مَثَل من يصف رجلاً بصفة ابن الملك بالنسبة والمنزلة والحِلْيَة ثم يسلبهُ كل ذلك بعدم اعتباره اياه اكثر من رجلٍ من حاشية الملك وسفرائهِ فتأمّل

"وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوهُ ولكن شُبِّه لهم فان الذين اختلفوا فيهِ لفي شكٍ منهُ ما لهم بهِ من علمٍ الّا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفَعَهُ الله اليهِ وكان الله عزيزًا حكيمًا" (سورة النساء آية ١٥٦)

(التفسير) وفيهِ اسئلة اهمّها انهُ ان جاز ان يقال ان الله تعالى يُلقي شبهَ انسانٍ على انسانٍ آخر فهذا يفتح باباً للسفسطة فانا اذا رأينا زيداً فلعلهُ ليس بزيدٍ ولكنهُ أُلقي شبهُ زيدٍ عليهِ وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والمُلك موثوقاً بهِ وايضاً يفضي الى القدح في التواتر لان خبر التواتر انما يفيد العلم بشرط انتهائهِ في الآخرة الى المحسوس فاذا جوّزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجّه الطعن في التواتر وذلك يوجب القدح في جميع الشرائع وليس لمجيبٍ يجيب عنهُ بان ذلك مختصٌ بزمان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانا نقول لو صح ما ذكرتم فذاك انما يُعرَف بالدليل والبرهان فمَن لم يعلم ذلك الدليل وذلك البرهان وجب ان لا يقطع بشيءٍ من المحسوسات ووجب ان لا يعتمد على شيءٍ من الاخبار المتواترة وبالجملة ففتح هذا الباب يوجب الطعن في التواتر والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا فرع يوجب الطعن في الاصول فكان مردودًا

واختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع وذكروا وجوهاً (الاول) قال كثيرٌ من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتلهُ رفعهُ الله تعالى الى السماء فخاف روساءُ اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم فاخذوا انسانًا وقتلوهُ وصلبوه ولبّسوا على الناس انهُ المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الّا بالاسم

لانهُ كان قليل المخالطة بين الناس وبهذا الطريق زال السؤَال. لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوهُ مقتولاً لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهي الى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب

(الطريق الثاني) انهُ تعالى القى شبههُ على غيرهِ ثم فيهِ وجوه

(الاول) ان اليهود لما علموا انهُ حاضر في البيت الفلاني مع اصحابهِ امر يهوذا راس اليهود رجلاً من اصحابهِ يقال لهُ طيطاوس ان يدخل على عيسى عليهِ السلام ويخرجهُ ليقتلهُ فلما دخل عليهِ اخرج الله عيسى عليهِ السلام من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوهُ هو فصلبوهُ وقتلوهُ

(الثاني) وكلوا بعيسى رجلاً يحرسهُ وصعد عيسى عليهِ السلام في الجبل ورُفع الى السماء والقى الله شبههُ على ذلك الرقيب فقتلوهُ وهو يقول لستُ بعيسى

(الثالث) ان اليهود لما همّوا باخذهِ وكان مع عيسى عشرة من اصحابهِ فقال لهم ومن يشتري الجنة بان يُلقى عليهِ شبهي فقال واحدٌ منهم انا فالقى الله شبههُ عليهِ فأُخرِج وقُتِل ورفع الله عيسى عليهِ السلام

(الرابع) كان رجل يدّعي انهُ من اصحاب عيسى عليهِ السلام وكان منافقاً فذهب الى اليهود ودلّهم عليهِ فلما دخل مع اليهود لاخذهِ القى الله تعالى شبههُ عليهِ فقُتِل وصُلِب وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله اعلم بحقائق الامور (رازى مجلد ثالث وجه ٥٠١ و ٥٠٢)

وهكذا تفسير البيضاوى لهذهِ الآية من جهة عَرض الجنة على من يفديهِ من اصحابهِ ومن جهة الرجل الذى كان ينافقهُ والرجل المدعو طيطاوس الذى دخل يفتش عليهِ ولم يجدهُ (مجلد اول وجه ٣١٥)

(ملاحظة) انهُ وان يكن ليس في هذهِ الآية الماع الى لاهوت المسيح كسائاتها في هذا الباب لا غروَ انها تدلّ على علّو منزلة عيسى عند الله فوق كافة الانبياء والمرسلين اذ نقلهُ حيّاً الى السماء رغماً عن اعدائهِ وطالبى نفسهِ ثم ربما يستغرب القارى توجيه الآية نحو اليهود فقط انكاراً لدعواهم انهم قتلوا المسيح صلباً بدون ادنى تعرّض لا فيها ولا في غيرها من القرآن لاعتقاد النصارى المصادق لدعوى اليهود هذهِ على ان استغرابهُ يزول اذا عرف كثرة اليهود جيران محمد في المدينة ونُدْرة وجود النصارى في تلك الناحية وعدم اطلاع محمد واصحابهِ على الانجيل.

فنقول أيخفى محمداً ان مسألة صلب المسيح وموتهِ بالجسد بايدى اليهود هي غاية التوراة ومحوّر الانجيل فالانبياءُ منذ القديم انبأوا عن ولادة المسيح وحياتهِ وموتهِ قتلاً كذبيحةٍ عن الخطية كما يُرَى ذلك في اسفار التوراة ولا سيّما في نبوتَي اشعياء ودانيال (اش اصحاح ٥٣ ودا ٩ : ٢٤-٢٧) والمسيح قبل موتهِ انبأ مراراً تلاميذهُ انهُ عتيد ان يُسلَّم الى اليهود فيصلبوهُ ويقتلوهُ وفي اليوم الثالث يقوم ورسُلهُ الذين يدعوهم القرآن حواريّةً كان جل كرازتهم بهِ انهُ مات مصلوباً بايدى اليهود فداءً عن الخطاة وانهُ قام في ثالث يوم من موتهِ ورُفِع الى السماءِ وهنا نقول اذا كان اليهود والنصارى اهل الكتاب وهو لم يُتّهِم منهم بتحريفٍ مّا كما رأيت فيما مرّ في الباب الربع فباى مسوغٍ يُنكِر عليهم كذا قضية هى اشهر واجلّ قضاياهُ فكان الاولى بمحمدٍ لو انكر الكتاب جملةً من ان ينكر على اهلهِ قضيّةً هى اساسهُ وراسهُ ولكن ان يؤمن بالكتاب التوراة والانجيل الذى بين يديهِ داعياً اليهود والنصارى اهلهُ زاعماً انهُ مصدِّق لما معهم (انظر سورة البقرة آية ٩٧) ثم يُنكِر مفادهُ وغايتهُ الجليلة بخصوص المسيح ذلك من باب نقض المرءُ قولهُ وثلمهُ شهادتهُ بلسانهِ الأمر الذى لا يجدر بمثلهِ. لعمرك كيف هو مصدِّق لما مع اهل الكتاب يعنى كتابهم ثم ينكر عليهم قضيةً هى اوسع وابين مما جاءَ فيهِ فاين ذاك التصديق فتأمل ان الآية المشار اليها من سورة البقرة ليست هى ولما جاءَهم رسول من عند الله مصدّق لما في التوراة بل مصدّق لما معهم اى توراتهم الحالية الكائنة معهم الأمر الدال على ثقة محمد بسلامة الكتاب حينئذٍ من شائبة التحريف وعلى امانة اهلهِ عليهِ فان قال قائل ان الآية في سورة البقرة تعنى اليهود فقط وتوراتهم لا تنصّ انهم قتلوا عيسى ابن مريم قلنا (اولاً) ان في التوراة انباءً صريحاً عن المسيح الذى سوف يأتى ويموت عن خطايا شعبهِ كما تقدمت الاشارة الى ذلك (ثانياً) ان التصديق المذكور هو على كافة الكتاب التوراة والانجيل بدليل ما جاءَ في الآية " نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديهِ وانزل التوراة والانجيل من قبل هدىً للناس" (آل عمران اية ٢) وايضاً وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديهِ من الكتاب (يعنى التوراة والانجيل) (سورة المائدة آية ٤٩) ومحمد يحث اهل الانجيل على الحكم بما انزل الله فيهِ قائلاً " وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيهِ" (المائدة آية ٤٨) حَسَناً. وليس من مسلم عاقل ينكر ان محمداً مصدّق الانجيل الكائن يومئذٍ بيد النصارى فيقدر اولئك النصارى ان

يقولوا لهُ كما نحن اليوم يا ابا القاسم انت تحثنّا على الحكم بما انزل الله في الانجيل الذي معنا. حسنًا. ان الله انزل في الانجيل قصّة صلب المسيح واماتتهِ بايدي اليهود وقيامتهِ في اليوم الثالث من موتهِ وهو مشحون بهذهِ الخبريّة على اساليب شتّى وهي كما لا يخفاك مدار تعليم الرحمة والنعمة فيهِ التي لو نُزِعَت منهُ لأشبه بنواةٍ نُزِع منها لبّها فان كنت حقاً مصدقاً لما بين يديك من الكتاب الذي معنا فيلزم ان يكون ايمانك بالمسيح كما ايماننا فتكون مسيحيّاً نظيرنا وداعياً من دعاه ربنا والّا فدعواك انك مصدّق لما بين يديك من الكتاب الذي معنا غير صحيحة لان التصديق بالشيّ وتكذيبهُ نقيضان لا يجتمعان. حقاً ان اغرب ما جاء في تاريخ البشر هو الاقرار بصحة الكتاب الكائن بايدي اليهود والنصارى والدعوى بتصديقهِ ثم انكار اهمّ اعلاناتهِ ومضامينهِ

اما من جهة التأويل لهذهِ الآية فنقول (اولاً) ان الجواب على السوأل او بالحري الاعتراض المتين على مفادها لا يُعتبر جواباً او حلاً لهُ الّا في اعين السذّج الاغبياء على ان ذلك كلما هو في وسع الدافع الذي لمّا لم يرَ لهُ مناصاً عن المجاوبة قال ما قال كالباني على الرمال زاعماً ان بذلك قد زال السوأل وانّا لنشكر المنتقد اذ كفانا موّنة التعب بانشاء ما يماثل انتقادهُ (ثانيًا) من اين يعرفون ان المسيح ما كانت الناس تعرفهُ الّا بالاسم لانهُ كان قليل المخالطة للناس ومن المسلّم ان حياة المسيح واعمالهُ على الارض لا تُعرَف الا من انجيلهِ وانجيلهُ يخبرنا ان المسيح عاش ثلاثين سنة مع والدتهِ يشتغل بمهنة النجارة في الناصرة وانهُ كان معروفاً بيسوع الناصري النجّار ويخبرنا انهُ غب ذلك ترك مهنتهُ وعاش نحو ثلاث سنين كان لا يفتُر فيها من الجوَلان في اراضي اليهودية سهولها وجبالها مُدُنها وقراها مُناديًا بملكوت الله ومبشراً بنعمتهِ داعياً الناس الى التوبة والايمان عاملاً آياتهِ ومعجزاتهِ الخيريّة حتى ذاع خبرهُ في جميع سورية. (انظرمت ٤ : ٢٤) فكانت تتقاطر اليهِ الناس من كل انحاءِ البلاد حاملين اليهِ جميع السُقماءِ والمرضى والمجانين لينالوا منهُ الشفاء فكيف ما كانت الناس تعرفهُ الّا بالاسم. المسيح نورٌ اشرق في البلاد وهل تخفى النور على ذي بصر والّا يقول عنهُ القرآن انهُ كان يحيي الموتى ويبرىءُ الاكمة والابرَص وانهُ أنزَلَ مائدةً من السماء فكيف اذاً كان غير معروفٍ من الناس. الطبيب الماهر يُشتَهر صيتهُ بسرعة فتقصدهُ الناس من كل صوب. فكيف اذاً كان رجلٌ كعيسى يُحيي الموتى ويشفي المرضى بمجرد كلمتهِ او وضع

يديهِ وهو فاتحٌ صدرهُ الرحيب لقبول كل من يأتي اليهِ بلطف وحبّ عجيب كيف لا يطير صيتهُ على جناح السرعة وتتقاطر اليهِ الجماهير والأفراد لرؤيتهِ وسماع كلامهِ ونوال بركاتهِ فياحيف على من لهُ ذرة من العقل ان يقول كذا قولاً ساقطًا لا رواج لهُ عند ذوي الاذهان والعلم

اما قولهم لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهي الى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب فهو مدحوض من اربعة وجوه (الاول) ان النصارى ليسوا ناقلين عن اسلافهم خلفًا عن سلفٍ قصة صلب المسيح كما يتوهمون بل هي غاية كتابهم وعمدة انجيلهم كما تقدم بيانهُ اعلاه (الثاني) ان ما جاز حسب زعمهم على تواتر النصارى الموهوم جاز على تواتر المسلمين (الثالث) ان اهل العلم من المسلمين يعتبرون شهادة التواتر كحقيقةٍ لا مراء فيها راجع وجه ٦٥ و ١٠٠ و ١٠١ (الرابع) على افتراض ان ليس للنصارى كتاب او ان كتابهم تلاشى من الارض فتواترهم قصة صلب المسيح ينتهي الى حوارييهِ وامهِ فهل في عرفهم ان حواريي المسيح كاذبون بقصّهم هذا الخبر على الناس او هل يقولون بامكان اتفاقهم على الكذب وهم المسمون في القرآن انصار الله (انظر سورة آل عمران آية ٥٠)

اما كلامهم في الطريق الثاني من القاء الله شبهَ عيسى على انسانٍ آخر فهو كما ترى من نوع الخبط الصبياني الغير مستحق الرد عليهِ وانظر ان العموم بمذاهب متضاربة في هذهِ المسئلة وكيف يتفقون في امرٍ لا اساس لهُ غير ما جاء في قرآنهم وهو منافٍ للواقع وللاصول المقررة كما رأيت فيما تقدم وجه ١٠٠ و ١٠١ ونحن لا نؤاخذهم كثيرًا والآية تنصّ انهم ما صلبوهُ وما قتلوهُ ولكن شبّه لهم فكأنهم لما رأوا انفسهم مضطرين الى تأويل الآية ولا تاريخ لهم يُعتمد عليهِ كيف شُبّه لهم ولا تلميح الى ذلك في الكتاب ولو انهُ على نوعٍ بعيد بل بالحري ما ينافيهِ كما تقدم لجأوا الى تصورات المخيلة فهامَ كلٌّ منهم في جهة تباين الأخرى الامور التي لم تتفق في سوق ذهن الامام الذي اسفنا انهُ بخل علينا باعطاء فكرةٍ من هذا القبيل بل وقف كمتفرج في ساحة خوض اولَيك بمراد الآية وتأويل نصها شُبّه لهم ثم زانها وقال ان هذهِ الوجوه متعارضة متدافعة والله اعلم بحقائق الامور يعني انهُ لا يقدر ان يقطع بصحة وجهٍ منها. جيد قولك هذا ايها الامام غير ان الله العالم بكل الامور اعلن لك ولاسلافك من المسلمين حقيقة صلب المسيح وموتهُ بالجسد في انجيلهِ بايدي

النصارى المصدق عليه من نفس القرآن الذى انت مفسّره فبعد كل هذا ايضا ينبغى لك ان تتخذ الانجيل نبأ لك من الله وتصدّق ما انزل الله فيه من خصوص هذه المسئلة التى هى محور الكتاب وغايته

"ان قال الله يا عيسى انى متوفّيك ورافعك الىّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون" (سورة آل عمران آية ٤٨)

(التفسير) فى تفسير هذه الآية مسائل وآداء يطول شرحها نأتى باهمّها "انى متوفّيك" فى تأويل هذه الكلمة وجوه (الاوّل) متوفيك اى انى متمّم عمرك فحينئذ اتوفاك فلا اتركهم حتى يقتلوك بل انا رافعك الى سمائى (الثانى) متوفّيك اي مميتك وهو مروى عن ابن عبّاس ومحمد ابن اسحق قالوا والمقصود ان لا يصل اعداؤه من اليهود الى قتله ثم انه بعد ذلك اكرمه الله بان رفعه الى السماء ثم اختلفوا على ثلاثة وجوه (احدها) قال وهب توفى ثلاث ساعات ثم رُفع الى السماء (ثانيها) قال محمد ابن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه (وثالثها) قال الربيع ابن انس انه تعالى توفّاه حين رفعه الى السماء قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ثم يقول وبقى من مباحث هذه الآية موضع مشكل وهو ان نص القرآن دلّ على انه تعالى حين رفعه الى السماء القى شبهه على غيره على ما قال "ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم" ويورد على ذلك عدة اشكالات مستطيلة الكلام نأتى باهمها ملخصاً. منها (الاشكال الثالث) انه تعالى كان قادراً على تخليصه من اوليك الاعداء بان يرفعه الى السماء فما الفائدة فى القاء شبهه على غيره وهل فيه الّا القاء مسكين فى القتل من غير فائدة اليه.

(الاشكال الرابع) اذا القى شبهه على غيره ثم انه رُفع بعد ذلك الى السماء فالقوم اعتقدوا فيه انه هو عيسى مع انه ما كان عيسى فهذا كان القاء

لهم فى الجهل والتلبيس وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى (الاشكال الخامس) ان النصارى على كثرتهم. فى مشارق الارض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح عليهِ السلام وغلوّهم فى امرهِ اَخبروا انهم شاهدوهُ مقتولاً مصلوباً فلو انكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر والطعن فى التواتر يوجب الطعن فى نبوة محمّد صلّى الله عليهِ وسلّم ونبوة عيسى بل فى وجودهما ووجود سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ذلك باطل

(والجواب على الاشكال الثالث) فانهُ تعالى لو رفعهُ الى السماء وما القى شبههُ على الغير لبلغت تلك المعجزة الى حد الالجاء (والجواب عن الرابع) ان تلامذة عيسى كانوا حاضرين وكانوا عالمين بكيفية الواقعة وهم كانوا يزيلون ذلك التلبيس. (والجواب عن الخامس) ان الحاضرين فى ذلك الوقت كانوا قليلين ودخول الشبهة على الجمع القليل جائز والتواتر اذا انتهى فى آخر الامر الى الجمع القليل لم يكن مفيداً للعلم وبالجملة فالاسئلة التى ذكروها امور تتطرق اليها الاحتمالات من بعض الوجوه ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليهِ وسلم فى كل ما اَخْبَرَ عنهُ امتنع صيرورة هذه الاسئلة المُحْتَمَلة معارضةً للنصّ القاطع والله ولي الهداية (رازى مجلد ثانى وجه ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢)

وتفسيرها فى البيضاوى هو "انى متوفيك" اى مستوفى اجلَك ومؤخرك الى اجلَك المسمّى عاصماً اياك من قتلهم او قابضك من الارض او متوليك نائماً اذ رَوي انهُ رُفع نائماً او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماتهُ الله سبع ساعاتٍ ثم رفعهُ الى السماء واليهِ ذهبت النصارى ورافعك اليّ الى محل كرامتى ومُقر ملائكتى (مجلد اول وجه ٢٠٩)

(ملاحظة) انا نرى فى هذهِ الآية وتأويلها ثلاث نكت (النكتة الاولى) هى منافاة هذهِ الآية لسالفتها فى هذا الباب من حيث موت عيسى وعدمهِ فان مراد الاولى كما رأيت ان عيسى لم يمت بل رُفع حياً الى السماء ومفاد هذهِ ان الله اماتهُ ثم احياهُ ورفعهُ الى السماء فكيف وهما آيتان من عند الله تنقض احداهما الاخرى سبحانهُ ان ياتى بمثل ذلك ومحال كيانهُ من الله تعالى لا جرَم ان هذا النقض البيّن بين هاتين الآيتين يُلقى المسلم المخلِص فى عربَسةٍ لا يَرَى الى الانفلات منها سبيلاً والقول فى الوجهِ الاول من تفسير هذه الآية متوفيك يعنى متمم عمرك لايحرز فى عينيهِ شياً من

الاعتبار كما لم تحرز عند غيرهِ من اهل العلم كما رأيتَ فى الوجه الثانى من تأويلها وذلك من وجهين (الاوّل) لان كلمة وفاة وتوفي فى اللغة لا تفيد اكثر من موت ومات (الثانى) لانهُ لا يُرَى ان قائِلي هذا القول قالوهُ الا عن افلاس الفكر والانحصار المُحرِق من جرّى التبايُن والنقض البيّن بين الآيتين فقالوهُ آملاً باقناع البسيط لا اقناعهم فنطالب اهل القرآن اما بالاقرار بتناقض الآيتين واما بيان عدَمَيهِ ان كان فى حيّز امكانهم

(النكتة الثانية) بقاء الاشكالات الواردة فى مباحث هذهِ الآية غير محلولة لان الجوابات المرقومة عليها ليست كما ترى دفعاً لها بل بالحري تزيدها مكانةً واعتباراً فى عينَي اهل الدراية والانصاف فكأنّي بالامام اذ ارعَجَهُ متانتها وعظيم حجّتها وكونها غير قابلة الدفع والدحض كما يلوح لك من كلامهِ الاخير فى تاويل الآية وكان هو آخذاً بشرح القرآن لفائدة ابناء دينهِ رأى عاراً عليهِ عدم المجاوبة كلياً فرامَ سَدّ الثغرة ولو بقشّة فقال ما قال كمجاوب حتى يقال جاوَب ولَعَلّ ذلك منهُ على امل قبولهِ عند بسطاء المسلمين واطفالهم لان ما الضرر اذا بُلغت معجزة رفع عيسى الى السماء بدون القاء شبههِ على غيرهِ حدّ الالجاء (كأنهُ يعنى بالالجاء الجاءُ الكافر الى الايمان بواسطة المعجزة الظاهرة لعينيهِ او الجاؤهُ الى ترك ما كان قصدهُ من ايذاء ذلك النبى) والاّ تكون هذهِ المعجزة اشبه بمعجزة تحويل نار ابرهيم الى بردٍ وسلام (حسبما يقول القرآن) فاذا كانت معجزة رفع عيسى الى السماء بدون القاء شبههِ على غيرهِ لا تناسب لبلوغها حد الالجاء فكيف اذ ذلك ناسبت معجزة تحويل نار ابرهيم الى بردٍ وسلام التى لجأت قومهُ الكفار الى الكفّ عنهُ وكيف ناسبت معجزات موسى فى مصر لكفّ المصريين عن ايذاء بنى اسرائيل والجاء فرعون الى تخلية سبيلهم اذاً قولهُ "فانهُ تعالى لو رفعهُ الى السماء وما القى شبههُ على الغير لبلغت تلك المعجزة الى حد الالجاء" هو لقول عَبَث وليس فيهِ شبه الدفع لذلك الاشكال وما اوهن واسقم كلامهُ كجوابٍ عن الاشكال الرابع. ان حضرتهُ بذلك الجواب يحكم بصدق واخلاص تلامذة المسيح بقولهِ "ان تلامذة عيسى كانوا حاضرين وكانوا عالمين بكيفية الواقعة وهم كانوا يُزيلونَ ذلك التلبيس." يعنى انهم كانوا يقولون للقوم ان الشخص المصلوب والمقتول ليس هو عيسى بل شبيهاً بهِ ألقى الله شبهَ عيسى عليهِ وكان ذلك بحضورنا وعلمنا ذلك لعمرك من اغرب التهم والافك فمتى واين قال تلاميذ المسيح مثل هذا القول وما البيان على ذلك

فيا ايّها الإمام ومن قال بقولهِ ان تلاميذ المسيح الاطهار ليس فقط انهم لم يقولوا شيئاً مما تذكرون بل هم كتبوا بوحي الروح القدس في انجيل سيدهم المسيح بتفصيلٍ وبيان خبر صلبهِ وقتلهِ من اليهود بسلطة الحكومة الرومانية ثم قيامته وصعودهُ الى السماء القصّة التي هي محور كرازتهم باسمهِ كما ترى ذلك في الانجيل ان اردت.

اذاً ما تقدّم من الإمام لم يؤثر في قوة الإشكالات المذكورة وانا ازيد عليها بان القاء شبه عيسى على غيرهِ حتّى يُوهَم انهُ هو عيسى فلا يشك اليهود بكون المقتول منهم هو عيسى هو محض غشّ وكذب وذلك مُحَال في الله المنزَّه عن الكذب واذا لم تُسمِّ هذا الامر غشاً وكذباً فماذا تسميهِ

اما الجواب عن الاشكال الخامس وهو الطعن بالتواتر فهذا قد دحضناهُ في ملاحظتنا على الآية السالفة كما قد ابان زبدةُ غيرنا من اهل العلم والانصاف فلينظر في محلّهِ وجه ١٠٠ و ١٠٣ و ١٠٤

(النكتة الثالثة) تخلّص الإمام الموهوم والغريب الشكل من هذهِ الاشكالات المكيدة بنوع الدور الباطل عند عموم المتكلمين بقولهِ وبالجملة فالاسئلة التي ذكروها تتطرّق الاحتمالات اليها من بعض الوجوه ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلّى الله عليهِ وسلم في كل ما اخبر عنهُ امتنع صيرورة هذهِ الاسئلة المحتملة معارضة للنصّ القاطع والله وليّ الهداية (وجه ١٣٢) فانظر ان الإمام اذ رأى وهن اجوبتهِ وكونها ليست حلاًّ لتلك الاشكالات وان قيام تلك الاشكالات هبوطاً للاسلام اَحْوَجَتهُ الضرورة رغماً عن حكم تعقّلهِ ان يلجاء الى قول ما قال فاشبه بذلك على قول المثل هرب من الدب فوقع في الجب

فاقول ان القول بثبوت صدق محمد بالمعجز القاطع فهو دعوى بلا برهان كما ستري وهو اذا كانت هذهِ الاسئلة مُحتَمَلة كما يقرّ الإمام فهي معارضة لنصّ القرآن واذا كانت معارضة لنص القرآن يكون ذلك من وجوه عدم إعجازهِ واذا تبيّن ان القرآن ليس بمعجز سقط القول بثبوت صدق مُحمّد بالمعجز القاطع لان صدق محمد بادّعائهِ النبوة متعلق حسب فكرهم على اعجاز القرآن الذي أتى بهِ (راجع وجه ٨ و وجه ١٣) فاذا بطل اعجاز القرآن بطل كون محمد صادقاً في مدّعاهُ فكيف جاز للامام ان يجعل الدعوى بثبوت صدق محمد مانعاً لصيرورة هذهِ الاشكالات المُحْتَمَلة معارضةً للنص ومحمد لا تقوم دعواهُ الاّ بثبوت النص ثم اذا تبيّن ان القرآن ليس هو بالمعجز القاطع تتطرّق الاحتمالات الى هذهِ

الأسئلة المعارضة لنصهِ ولوجود النقيض فيهِ كما بين الآية التي نحن في صددها وما قبلها (راجع وجه ١٠٦) ولما فيهِ ايضاً من المناقضة والاختلاف والتكرار واللحن وابضاح الواضح كما ترى في الباب الأول من هذا الكتاب (انظر وجه ٦ فصاعداً لا يبقى لمحمد اساس لتصديق دعواهُ بالنبوة ولا في كل ما اخبر عنهُ. فيزول ثمّ المانع الذى اقامهُ الإمام لصيرورة هذهِ الأسئلة المحتملة معارضة للنص. ثم نقول اذا كان حسب زعمهِ ان القرآن معجز قاطع فلا يكون فيهِ شيءٌ ممكن معارضتهُ ولا يكون لهُ حاجة ان يُسْتَند بصدق محمد لانهُ اذا احتاج الى صدق محمد لمنع صيرورة تلك الأسئلة المُحْتَملة معارضة لنصّهِ فلا يكون معجزاً واذا لم يكن معجزاً (كما قد تبيّن) ولا معجزة لمحمد غيرهُ عدم محمد البيّنة على صدق دعواه وما ظني بالامام يجهل هذهِ الامور الأوليّة واذا كان لا يجهلها فما بالهُ يُنزِل نفسهُ منزلة الجاهل الغبي بالتجائهِ في مثل هذهِ المحشرة الى الدور الباطل وهو ان يقيم القرآن بياناً لصدق محمد ثم صدق محمد مانعاً لمعارضة القرآن بالأسئلة المحتملة الامر الساقط الاعتبار عند كل من لهُ ذرة من العقل. أيعضد محمد بالقرآن ثم يعضد القرآن بمحمد وهو لا يجهل ان ذلك شائع البطلان

(تذييل) ان حاصل ما اوردناه من الآيات وتأويلها في هذا الباب ان عيسى ابن مريم امتاز عما سواه من المخلوقات بتسعة امور (الاول) كونهُ بدون اب (الثاني) كونهُ كلمةً من الله او كلمة الله (انظر وجه ٩١ و ٩٦). (الثالث) كونهُ روحاً من الله (الرابع) كون اسمهُ المسيح (الخامس) كونهُ وجيهاً في الدنيا والآخرة (السادس) كونهُ كلّم الناس وهو في المهد (السابع) خلقهُ حياً من لاحيّ (الثامن) قيامتهُ من الموت (التاسع) رفعهُ حيًّا الى السماء وتأويل روحانيتهِ ووجاهتهِ روح من الله اى صدر من الله وانه سمّى روحاً لانهُ كان يحيي الاموات والقلوب ووجاهتهُ في الدنيا بسبب انهُ كان مبرّاء من العيوب التي وصفهُ اليهود بها وفي الآخرة بسبب كثرة ثوابهِ وعلو درجتهِ عند الله تعالى في الدنيا بسبب انهُ يستجاب دعاؤهُ ويحيي الموتى ويبرئُ الأكمه والابرص وفي الآخرة بسبب انهُ يجعلهُ شفيع امتهِ المحقين. فيا ذا النيرة انظر افليس ان هذهِ الامتيازات الخاصّة بعيسى تدّل انهُ لشخص عجيب غريب الطبيعة والمصدَر لا يُقاس بهِ نبيّ ولا مُرسَل فهل بعد كل هذا يُلاَم المسيحيون على

ايمانهم بالمسيح حسب نص كتابهم انهُ ابن الله الحيّ ثم لاجل تمة الفائدة ببيان المشابهة والمقارنة الكليّة بين نص القرآن والانجيل وضعنا الجدول ادناه

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمهُ المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت ربّ انّى يكونُ لى ولدٌ ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاءُ اذا قضىَ امراً فانما يقول لهُ كن فيكون (سورة آل عمران آية ٤٢-٤٧)

وفى الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينةٍ من الجليل اسمها ناصرة الى عذرا مخطوبة لرجل من بيت داود اسمهُ يوسف واسم العذراء مريم فدخل اليها الملاك وقال سلامٌ لكِ ايتها المُنعَم عليها الربّ معكِ مباركةٌ انتِ فى النساء. فلما رأتهُ اضطربت من كلامهِ وفكرت ما عسى ان تكون هذهِ التحيّة فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لانكِ قد وجدتِ نعمةً عند الله وها انتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينهُ يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيهِ الرب الالهِ كرسى داود ابيهِ ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلاً فاجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحلّ عليكِ وقوة العلى تظللك لان القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله (لو ١ : ٢٦-٣٥)

يبشركِ بكلمةٍ منهُ

وكلمتهُ القاها الى مريم (سورة النساء من آية ١٧٠)

(تأويلها) القاها الى مريم اوصلها اليها وحصّلها فيها (انظر وجه ٩٦ و ٩٧)

والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجدهُ مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً (يو ١ : ١٤)

عن ابنهِ الذى صار من نسل داود من جهة الجسد (رو ١ : ٣)

وهو متسربل بثوبٍ مغموس بدم
وبدعى اسمهُ كلمة الله (رؤ ١٩ : ١٣)

وروحٌ منه (النساء من آية ١٦٧) (التأويل) وذو روحٍ صدر منه (انظر وجه ٩٧)

لان الآب نفسهُ يحبكم لانكم قد احببتموني وامنتم اني من عند الله خرجت . خرجت من عند الآب وقد اتيت الى العالم (يو ١٦ : ٢٧ و ٢٨) فقال لهم يسوع لو كان الله اباكم لكنتم تحبونني لاني خرجت من قبل الله واتيت الحق الحق اقول لكم قبل ان يكون ابرهيم انا كائن (يو ٨ : ٤٢ و ٥٨)

وقيل سُمّي روحاً لانهُ كان يُحيي الاموات والقلوب (انظر وجه ٩٧)
وُصِف انهُ روح لانه كان سبباً لحياة الخلق في ادبانهم (انظر وجه ٩٦)

قال لها يسوع انا هو القيامة والحياة مَن آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حيًّا وآمن بي فلن يموت الى الابد . . . ولما قال هذا صرخ بصوتٍ عظيم لعازر هلمّ خارجاً فخرج الميت (يو ١١ : ٢٥ و ٤٣ و ٤٤)

وجيهاً في الدنيا والآخرة

في الدنيا لانه كان مبرأً من العيوب التي وصفهُ اليهود بها وبسبب انهُ يستجاب دعاؤهُ الخ . . .

مَن منكم يبكّتني على خطيّة فان كنت اقول الحق فلماذا لستم تومنون بي (يو ٨ : ٤٦) فخرج بيلاطس ايضاً خارجاً وقال لهم ها انا اخرجهُ اليكم لتعلموا اني لست اجد فيهِ علّةً واحدةً (يو ١٩ : ٤)

ورفع يسوع عينيهِ الى فوق وقال ايها الآب اشكرك لانك سمعت لي وانا علمت انك في كل حين تسمع لي (يو ١١ : ٤١ و ٤٢)

وفي الآخرة بسبب انهُ تجعلهُ شفيع أمّتهِ المحقّين (وجه ٩٥)

من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بالحري قام ايضاً الذي هو ايضاً عن يمين الله الذي ايضاً يشفع فينا (رو ٨ : ٣٤)

اسمهُ المسيح (آل عمران من آية ٤٣)

انما المسيح عيسى ابن مريم (النساء من آية ١٦٧)

انهُ وُلِد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب (لو ٢ : ١١) فاجاب سمعان بطرس انت هو المسيح ابن الله الحي (مت ١٦ : ١٦) ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموهُ انتم ربّاً ومسيحاً (اع ٢ : ٣٦) ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في ايام هيرودس الملك اذا مجوسٌ من المشرق قد جاؤُوا الى اورشليم قائلين اين هو المولود ملك اليهود فاننا رأينا نجمهُ في المشرق واتينا لنسجد لهُ . . . فجمع كلّ روساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم اين يولد المسيح فقالوا لهُ في بيت لحم اليهودية (مت ٢ : ١-٥)

ومن تأويل اسم المسيح "قال ابو عُمَر بن العلاء" المسيح الملك (انظر وجه ٩١)

واذ تخلق من الطين كهيئّة الطير فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذني (وجه ٩٣)

ما دمت في العالم فانا نور العالم قال هذا وتفل على الارض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الاعمى وقال لهُ اذهب الى بركة سلوام واغتسل . . . فمضى واغتسل واتى بصيراً (يو ٩ : ٥ و ٦ و ٧)

اذ قال الله يا عيسى اني متوفّيك ورافعك اليّ (سورة آل عمران آية ٥٣)

رُوِي عن ابن عباس ومحمد ابن أسحق انهم قالا متوفيك اى مميتك ثم اقامهُ الله ورفعهُ الى السماء قال وهب

ولما صلبوهُ اقتسموا ثيابهُ واقترعوا عليها . . . فصرخ يسوع ايضاً بصوتٍ عظيم واسلم الروح. وكانت الساعة الثالثة فصلبوهُ. فصرخ يسوع بصوتٍ عظيم واسلم الروح ونادى يسوع بصوتٍ عظيم وقال

توفى ثلاث ساعات ثم رفع الى السماء وقال محمّد بن اسحق توفى سبع ساعات ثم احياه الله ورفعهُ الى السماء (انظر وجه ١٠٥)	يّا ابتاه فى يديك استودع روحى ولما قال هذا اسلم الروح. واما يسوع فلما جاؤا لم يكسروا ساقيهِ لانهم رأوهُ مات (مت ٢٧ : ٣٥ و ٤٩ ومر ١٥ : ٢٥ و ٣٧ ولو ٢٣ : ٤٦ ويو ١٩ : ٣٣)

«انى اعلم انكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو ههنا لانهُ قام كما قال. انتنّ تطلبنّ يسوع الناصرى المصلوب قد قام ليس هو ههنا. لماذا تطلبنّ الحى بين الاموات ليس هو ههنا لكنهُ قام (مت ٢٨ : ٥ و ٦ ومر ١٦ : ٦ ولو ٢٤ : ٥ و ٦)

واخرجهم خارجاً الى بيت عنيا ورفع يديهِ وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعد الى السماء فسجدوا لهُ ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم (لو ٢٤ : ٥٠ و ٥١ و ٥٢)

لكنكم ستنالون قوةً متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى اورشليم وفى كل اليهودية والسامرة والى اقصى الارض ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون واخذتهُ سحابةٌ عن اعينهم وفيما كانوا يشخصون الى السماء وهو منطلق اذا رجلان قد وقفا بهم بلباس ابيض وقالا ايها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ان يسوع هذا الذى ارتفع عنكم الى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموهُ منطلقاً الى السماء حينئذٍ رجعوا الى اورشليم من الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون الذى هو بالقرب من اورشليم على سفر سبت

فأسألك ايها القارى العزيز هلّا وجدتَ المعارَضة المعنوية والموافقة الجوهرية بين حقلَى الآيات فى هذا الجدول وهلّا رأيتَ فيهما من عظمة المسيح وسمّو شانهِ ما يسمو جدا عن مقام انبياء الله ومُرسَليهِ وان تفسير الآيات المدونة فى هذا الباب وان لم يصب الغرض تماماً فقد قرّبت الذهن الى نقطة الصواب وان آيات الانجيل بخصوص المسيح هى كمفسرة لامتيازاتهِ القرآنية حال كونها هى الاصلية انما اوّاه من التعصّب الاعمى للدين الموروث كيف حال بين الحق والعقل وساوى بين الزلل والبلد ولا سبيل الى الاصلاح من هذا الفساد واستعلامه هذا الاعوجاج الا برفع هذهِ العصابة وحسبان المرء نفسَهُ كمولودٍ جديد وغريبٍ مريد يبتغى الحق من بابهِ والهُدَى من مصدرهِ

الخاتمة

اذ قد بلغتُ بعونهِ تعالى نهاية المطلوب من استحضار شهادة القرآن لكتب انبياء الرحمٰن وما حوى من الدليل الصريح الى سرّ لاهوت المسيح اوجّهُ كلام الاخلاص اليك ايّها المسلم المخلص الدائبُ على القرآن الملازم المسجد الذى لا يهمّك سوى مرضاتهِ تعالى آملاً من حلمك ان ترعّنى سمعك وتصغى الى ما سأُبديهِ لفهمك ثم احكم فيهِ لنفسك وانى لستُ هنا مكلماً الرعاع السّفلة المكتفين من الدين باسمهِ المجذوبين بحبائل العصبيّة والمغلولين بقيود الغباوة بل ايّاك ايها النبيل التقى اخصّ كلامى واليك ابسطُ مقالى فها قد رأيت والحمدُ لله ما درجناه فى هذا الكُتيّب من صريح الشهادة فى قرآنك للكتاب التوراة والانجيل الكائن بيد طائفتى اليهود والنصارى وكيف اجمع اشهر علمائكم الراسخين على سلامتهِ من التحريف والتبديل لبلوغهِ مبلغ التواتر فى الشرق والغرب وعلى ان مراد الآيات كآية ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وآية "يحرفون الكَلِم عن مواضعهِ" الى نحو ذلك من الآيات المتقدمة انما هو تشويش الدلائل على السامع بالقاء الشبهات الباطلة ومنع غير السامع من الوصول الى تلك الدلائل ووضع الباطل موضع الصحيح تحريفاً باللسان لا بالكتاب كما فى مسئلة يهود خيبر المتقدم ذكرها وانا عَنىَّ لكَ لا سَمَح الله ما يعنو للجهلاء ان التحريف اللفظي وقع فى الكتاب بعد محمد والقرآن اقول ذلك لا يمكن البتة لاتساع دائرة التواتر ولكونهِ بيد كل فريقٍ وشيعةٍ من الفرق والشعَب النصرانية بلغتها الخاصّة ولوقوف الاخصام لهم فى المرصاد ولترصيع كُتب المُناظرة والمجادلة العديدة بآياتهِ الامور التى لم تدع سبيلاً الى ذلك ولا محلاً لهذا الزعم.

واذا كان فى اثناء نحو ستّة قرون اى من عهد المسيح الى ظهور محمد لم يقع التواطؤ على تحريفهِ امُمكِن وقوع ذلك فيما بعد كَلّا وقد علمت ارشدك

الله عدم جواز الطعن فى التواتر وان الطعن فى التواتر يوجب الطعن على ما قال علماؤكم فى نبوة محمد ونبوة عيسى بل فى وجودهما ووجود سائر الانبياء (راجع وجه ٥٦ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٠) وهنا ارجوك الوقوف هُنَيهَةً واعمال الفكرة فيما تقدّم اذا كان الكتاب هكذا سليمًا من شائبة التحريف والتبديل كما قد تبيّن لك ماذا يترتّب عليك كانسان لا يروم سوى الحق الّا وهو ان تسلّم وتؤمن بصحة ما قد جاء فيه بخصوص عيسى المسيح كابن الله وموته بالجسد فداءً عن الانسان بَلَى لان الاعتقاد بانزال الكتاب وسلامته موجبٌ لقبول ما جاء فيه وكأنّي بِكَ باعتياد ذلك فى موقف الحيرة والربكة لا يسعك انكار سلامة الكتاب ولا كذا قضية هى غاية التوراة وروح النبوة ومفاد الانجيل ومن جهةٍ أخرى ترى صعوبة التسليم بكذا مسئلة غاية فى الغرابة ومُنكَرة من القرآن قد رُبيتَ على انكارها والانفة منها وانى لمستحسن معك بهذا الانحصار والتضايق الذى قد يصيب كثيرين ممن يلقون مثل هذه النقطة الخطيرة وهم شديدو التمسك بما ورثوهُ من اسلافهم من العقائد المنافية لها بيدَ انى ارجوك إستغراق تاملك فى ما تقدم فى البابين الخامس والسادس ببصيرةٍ خلَت من شائبة الغرض وقذى العصبيّة لعلّ بذلك تنقشع سحابة حيرتك وتنحلّ عقدة ارتباكك فتخرج كمَن نُشِطَ من عِقال.

لاخفاك ان البيت باساسهِ وكل بيت بلا اساس يُدرِكهُ عاجلُ الخراب فما تقدّم فى الباب الخامس اساسٌ راسخٌ لما أُدرِج فى الباب السادس فكان هو اولى اولاً بالنظر. لقد رأيتَ حفظك الله فى هذا الباب الاساسي امرين خطيرَين (الاول) كون اسحق ويعقوب هما ابوا النسل المبارك لابرهيم (الثانى) اختصاصهُ تعالى ذلك النسل بالنبوّة والكتاب أرأيتَ كيف ان اسحق ويعقوب هما هِبة الله لابرهيم كأنّهُ لم يُرزَق سواهما حال كونهما مسبوقين باسمعيل وعيسو وانهما مع ابرهيم ابيهما أُولي الايدى والابصار كأنّ لا سواهم فى عصرهم ذو علم وعَمَل وان كل الآيات فى هذا الباب دلّت كما باصبعٍ واحدٍ على ان غاية الله العظمى هى فى نسل اسحق ويعقوب ثم لقد رأيتَ هناك تقصير المفسرين عن بلوغ كنهِ الحقيقة البادية فى تلك الآيات لانجذابهم بحبائل العصبيّة العمياء التى كثيراً ما ورّطتهم باوحال الركاكة والسخافة غير الحريّة بذوي النبالة ومع ذلك كانوا فى نقطٍ كثيرة كما قد رأيت يلتزمون رغمًا عن اهوائهم الى المصادقة على نوعٍ مّا بتفضيل الله بنى اسرائيل على العالمين واحياناً كأنّهُ على غير

انتباه يرجع تأويلهم الى تأييد هذه الحقيقة اما اولئك المفسرون فقد مَضوا وآيات القرآن هذهِ لم تزل هي هي ولا ريب ان الله ابقاها شاهدةً لتفضيلهِ تعالى نسل اسحق ويعقوب على العالمين بما قد اولاهم وخصّهم من النبوة والكتاب ومن المعلوم ان الكتاب الموروث من الله تعالى لبني اسرائيل حسبما جاءَ في سورة المؤمن (آية ٥١) والمحفوظ منهُ على الدوام كما أُعطي لهم يشتمل على ذلك الوعد الاسنى لكلٍّ من ابرهيم واسحق ويعقوب بدورهِ ان بنسلك تتبارك جميع قبائل الارض (راجع في وجه ٧٧) وهذا لا يصدق الّا على المسيح فادي العالم نسل يعقوب المبارك الذي قد انبأت عنهُ انبياء الله واوسعوا في وصفهِ ومدحهِ كبركة الله للامم ونور للعالم وكلا الانجيل والقرآن على وفاق ان المسيح جاءَ بركةً ورحمةً للعالم   اما ما تقدم ذكرهُ في الباب السادس الذي هو كحصنٍ حصين شُيّد على ذلك الاساس هو البَيّان الجلي كون كلمة الله المُبشَّر بها مريم هي ذاتاً كائنة قبلَ حصولها في مريم وان هذهِ الذات التي هي من الله هي جوهرٌ الهي حَلَّ في احشاء مريم وتأنس منها وهو علّة كيان المسيح بدون آب وان ما جاءَ في القرآن من نسب المسيح وصِفَتهِ ككلمة الله وروح منهُ ونوع ولادتهِ الغريب واعمالهِ العجيبة هي ملامح ذات شان الى لاهوتهِ العجيب اما شُرّاح القرآن من المسلمين فقد اَجْمعوا على ابعاد عيسى عن حقيقية ذاتهِ العجيبة المشار اليها في آياتهِ والمُعلّنة في انجيل الله محاولين خفض سنا نَسَبهِ لتجريدهِ من لاهوتهِ الازلي بيد انهُ ليس من شأن العاقل الحُر تقييد عقلهِ بتأويل المأولين بل الجدير بهِ استعمال بصيرتهِ في فهم المعاني المؤدية اليها الالفاظ على الوجه الاقرب وانت ترى ان من هؤلاء المأولين من قَرُبَ جداً الى نقطة المعنى الصحيح ومنهم من بَعُدَ عنهُ ومنهم مَن كان بين بين حال كونهم في تأويلهم الآيات كانوا كأنهم يحومون حال غاية واحدة وما هي الا انزال المسيح كلمة الله وروحهُ منزلة بقية انبيائهِ ومرسليهِ غير مراعين ما بتلك الآيات من امتيازاتهِ النسبيّة وصفاتهِ السنيّة التي طبعاً تخولهُ في ذهن العاقل المخلص مقاماً اسمى بما لا يقاس بهِ مقام نبيٍّ ومُرسَل سواه لانهُ من البعيد ان العاقل المدرك يرتوي بتأويلهم وهو يرى لعيسى مثل هذهِ الامتيازات العجيبة التي لم يحرزها سواه

فهل يجدر بعقلك يا صاح بعد كل هذا البيان اغماض بصيرتك النيرة بعصابة

الغرض حتى لا ترى من خلال هذه الآيات مجد ابن الله فان فعلت ذلك كنت لنفسك ظالمًا ولله عاصيًا

ثم لدى المقابلة ما بين آيات القرآن في هذا الباب وآيات الانجيل بخصوص المسيح يُرى ولا بُدّ نوعا المصادقة والمؤاخاة اي ان القرآن يصادق الانجيل في بعض خصائص المسيح واوصافهِ مصادقة تكاد تكون حرفيّة ويؤاخيهِ في البعض الآخر مواخاةً معنويّة كما قد رأيت فيما مرّ اما مصادقتهُ للانجيل من جهة المسيح فهي من حيث ولادتهِ على خلاف العادة الطبيعيّة واجتراحهِ الآيات المعجزات كإحياء الميت وابراء الأكمه والابرص ووجاهتهِ في الدارين ومواخاتهِ لهُ فهي في نسبة المسيح لله ككلمة الله وروح منهُ وهو يماثل نسبتهُ في الانجيل لله ككلمة الله وابن الله فيُرى كان الفرق واقعٌ في التعبير والتسمية لا في الحقيقة والمعنى وهي في المكانين عجيبة غريبة تريك رفعة شان هذا المنسوب فوق كل مخلوق. وزِد على ذلك ان القرآن والحديث زادا الانجيل في وصف جلال المسيح اما القرآن فينبئ عنهُ انهُ كلّم الناس في المهد وانهُ كان يخلق من الطين طيرًا والحديث يقول يوم وُلِد المسيح نُكِّست اصنام الدنيا وانهُ ما وُلِد ولد لآدم الّا ونخسهُ الشيطان حين ولادتهِ فيصرخ مستهلًا من نخسة الشيطان الّا عيسى ابن مريم وامه وان ابليس خزاهُ الله حاول مساواتهُ بباقي البشر من هذه الحيثيّة فارتدّ خاسيًا لان جيش ملائكة الله الحافّ ثمّ بالطفل المبارك لم يدعهُ يقرب منهُ (انظر كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي مجلد ٣ وجه ٣٧) فبا ذا النيرة الا ترى ان هذا الشخص الممتاز هكذا عن كل البشر بكذا امتيازات غريبة عجيبة هو لشخص فوق العادة وَالّا تتخذ ذلك دليلًا على عجبه وسموه كل مخلوق أيقطع في ذهنك ويروق لعينيك انهُ بدون داعٍ موجب وسببٍ خطير صار هكذا خرق الناموس الطبيعي بولادتهِ من دون اب ايأتي الله كذا امرًا عجيبًا لا داعٍ لهُ ولا سَبَب يوجبهُ كلا وحاشا فما ذلك الداعي يا ترى والقول مَثَلهُ مثل آدم كلاهما من دون اب ليس هو بجواب لهذا السؤال فلا يروي غليلًا لحلوّه من بيان السبب الموجب للعروج عن المجرى الطبيعي اما الانسان الاوّل فلا بُدّ لكيانهِ من دون اب لكن المسيح اى بدٍّ لكيانهِ بدون اب واى ضرورةٍ تدعو الى ذلك وهل لا يجول في خاطرك لدى تبصرك في هذهِ الآيات انهُ لا بد من علةٍ كبرى لشذوذ ولادة المسيح عن السنّة الطبيعيّة المسنونة من لدنهِ تعالى وان اقتران ولادتهِ هذهِ العجيبة مع نسبةِ

السّنىّ وتسميتهِ تشفّ عن سرٍ خطير في شخص عيسى المسيح وهل حقاً لا يتوق قلبك للاطلاع على ذلك السر واذا تقتَ الى ذلك فاين تجد بيانهُ أفي القرآن كلّا نعم ان القرآن اراك شيأً نفيساً من مجد المسيح لكنهُ لم يُسفِر لك عن بهاء كمالهِ ولا اداك حقيقة ذاتهِ فكأنهُ بذلك أوصلك الى باب السر ولم يفتحهُ لك بل تركك هناك تُعاني لظى التحسر والشوق فهل يَحسُن بعقلك الرضى والقناعة بهذهِ النقطة الدالّة على ما وراءها من عظائم الامور لو اخذ احد الرواة يقصّ عليك قصةً عجيبة واوصلك بحديثهِ الى نقطة تشفّ عما وراءها من الغرائب وتوقف ثمّ عن الكلام هل كنت ترضى منهُ وهلّا يسوّك ذلك وتلح عليهِ بتكملةِ القصة واذا قال لك اني لا اعرف منها أكثر مما قصصت عليك هل لا تسأله عمّن رَوَى عليهِ ذلك او عن اى كتابٍ اخذ هذا الجزء واين هو واذا سمّى لك ذلك الكتاب وَدلّك على مكان وجودهِ هل لا تسعى جهدك للوصول اليهِ والجد في احرازهِ ودراستهِ ولو كلفك ذلك خسارة ومشقة وهذا لعمرك عمل القرآن بخصوص عيسى المسيح فانهُ قصّ عليك من غرابتهِ وصفتهِ وعملهِ ما اخذ معظمهُ من الانجيل وقطع عنك في اهمّ نقطة الكلام اى لم يُنبئك عن العلة والسبب لغرابة ولادتهِ ولا عن سرّ نَسَبهِ واسمهِ وعجيب مقدرتهِ وعلو منزلتهِ فكأنهُ اطلعك الى نصف البئر واوقفك هناك لا يطلعك ولا يُنزلك غير انهُ لم يبخل عليك بالدلالة على الكتاب الذى منهُ اخذ نحو ما انبأكَهُ وهو الانجيل الذى يريك تمة القصة ويسفر لك عن سرّ ما رُوي في القرآن من ولادة المسيح ونسبهِ ولا عن اهلهِ الذين أُمر محمد بسؤالهم لاراحة فكرهِ ومحو الشك من قلبهِ (انظر وجه ٦٩ و ٧٠)

ثم يا عزيز اذا كنت هكذا مؤمناً بانزال هذهِ الآيات وترى التزامك النظر الى مرادها واستخلاص مفادها مع ما قد علمت حفظك الله من سلامة التوراة والانجيل اللذين غايتهما ومفادهما ابن الله المتأنس والفادى للخطاة بدمهِ. وانك ولا بد رأيت بين تلك الآيات ونص الكتاب وفاقًا من جهة المسيح اعظم كثيراً مما بينها وبين تأويل مأوليها المذكورين فما عليك يا ترى والحالة هذه. أإن تقول حماك الله قول بعض البلداء المتغفلين الذين هرباً من مقاربة النصرانيّة عند ما تشعّ لهم من شفافة مثل هذهِ الآيات انوار ابن الله "الله أعْلَم ما مرادهُ بها" فيتلونها ولا يتدبّرونها ظناً منهم انها مما لا سبيل لهم الى فهمها واستخراج دَسَم لبها كأنهم يتهمون المولى جلّ وعلا بوحي الى خلقهِ

يستحيل عليهم فهمهُ او يُحظَر عليهم البحث في ما مرادهُ او انك تعتبر المسيح ارفع قدرًا واسمَى شاناً من المخلوقاتِ طرًّا وانك ملتزم لا محالة ذِمّةً وحرمةً لله ان تبادر الى كتابهِ وتطالعهُ بالخشيّة والمهابة مع الابتهال والضراعة لتعلم العلم الصحيح عن شخص عيسى المسيح وبعد هل يصدّق انك بعد تدبّرك القرآن لا يَعرُض لذهنك لدى التبصّر في عظمة هذا الشخص المنفرد في نوع الولادة وغريب النسبة والصفة ما يعرض لكل لبيبٍ نبيه على سبيل السؤال التعجّبي مَن يا ترى يكون هذا الشخص حتى وجَبَ لحَبَل بهِ من دون اب ولم يكن لابليس سبيلٌ اليهِ من يكون هذا المدعّو في القرآن كلمة الله وروحٌ منهُ وفي السنّة روح الله (الامام الغزالي جزء ٢ وجه ٣٥٩ وجزء ثالث وجه ١٣٦) واي شيءٍ ليت شعري اعظم من روحِ الله مَن يكون هذا الناطق في المهد مَن يكون هذا المقتدر على احياء الاموات والقلوب حسب تأويل البيضاوي (مجلد اول وجه ٣١٩) (يعني الاجساد والارواح) ومن يستطيع ذلك سوَى ربك القدير او روحهُ القدوس من يكون هذا الخالق حيًّا من جامِد (طيرًا من طين) أليس ذلك عمل الله في خلق آدم مَن يكون هذا الذى لم يُذكَر لهُ عيبٌ ولا اثم ولبس لهُ في القرآن إستغفار ما ولا ان الله تابَ عليهِ او غفر لهُ كما ذُكِر عما سواهُ من مشاهير الانبياء من يكون هذا الذى لم يستطع الموت ان يضبطهُ ولم يكن للفساد سبيلٌ اليهِ بل قام على قول ابن وَهَب بعد توفيهِ بثلاث ساعات وعلى قول محمد ابن اسحق بعد توفيهِ بسبع ساعات ورُفِع الى الله بنفسهِ وجسدهِ (انظر وجه ١٠٥) من يكون هذا الذى سوف يأتي ايضاً ويقتل الدجّال ويهلك بدعائهِ جيوش آجوج وماجوج (انظر حديث مسلم جزء خامس وجه ٤١٤-٤١٧) من يكون هذا الذى لم يحفل بالدنيا بل عاش عذباً وكان آية العفاف والطهر ولم يقاوم الشر بل عاش محسنًا صفوحًا خيّرًا موصياً بحب الاعداء وبالاحسان للمسيء وبدعاءِ الخير للمضطهد الباغي وبابداء الخير والمعروف للعموم اشرارًا وصالحين ألا انهُ فوق البشر جنسًا ورتبةً اغرب ما ظهر واعجب ما بدى من البشر. مَن من الانبياء اجتمعت فيهِ هذهِ الصفات وامتاز بهذهِ النسبة او ظهر على هذهِ الكيفية او نهج هذا المنهج لا احدَ فهل هو من مقتضيات العقل اعتبارهُ بعد كل هذهِ الامور مجرّد انسان او كاحد الانبياء والمرسَلين كلّا أَلله رفعهُ وانت تخفضهُ ايدعوهُ كلمتهُ وابنهُ (وحسب القرآن و روحهُ) ويدلّ على سناء هذا النسبة والمنسوب بما اولاهُ من قدرة الخالق

واحياء الأجساد والقلوب وانت تنزلهُ منزلة عبدٍ مُرسَل الا ان ذلك مقاومة لوحي ٱللّٰه وتنزيلهِ وما جزاء من يقاوم اللّٰه

ثم ارجوك ان تردّ طرفك قليلاً الى فاتحة قرآنك وأنعم النظر انعمَ ٱللّٰهُ بالك في القول "واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين" وابحث عقلاً ونقلاً في مراد هذا النص فبموجب البحث العقلي الحُرّ ترى ولا بد ان الصراط المطلوب الهداية اليهِ هو سبيل عبيد اللّٰه الاولين من انبيائهِ واوليائهِ الذين انعم اللّٰه بهِ عليهم سبيل الايمان باللّٰه جرثومة كل صلاحٍ وتقوى. ومن المعلوم المقرّر ان هؤلاء بعضهم كان قبل بني اسرائيل كنوحٍ وابرهيم واسحق ويعقوب واكثرهم من بني اسرائيل الذين اعطاهم اللّٰه كتابهُ وان شئتَ فقُل صراطهُ او سبيلهُ وهو يوافق الآية "يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمتُ عليكم واني فضلتكم على العالمين" (سورة البقرة آية ٤٤) كيف لا وقد اعطاهم كتابهِ وكثر منهم الانبياء حتى اقام منهم سيد الانبياء والمُرسَلين مسيح اللّٰه كلمتهُ وابنهُ الوحيد (وحسب القرآن وروح منه)

اما بموجب البحث النقلي فانك تجد في المجلد الاول للامام الفخر الرازي تأويلاً متنوعاً لهذا النص من عدة مصادر قال ان لتأويل هذهِ الآية وجوهاً. (نأتي ببعضها على سبيل الايجاز) (الوجه الاول) ان الصراط المستقيم هو تحمّل المشاق العظيمة لاجل مرضاتهِ تعالى ويعضد ذلك بحكايةٍ عن نوحٍ انهُ كان يُضرَب في كل يوم كذا مرات بحيث يغشى عليهِ وكان يقول في كل مرّة اللهمّ اهدِ قومي (الوجه الثاني) هو العدل في الامور او الخط المتوسط بين الإفراط والتفريط في كل الاخلاق وفي كل الاعمال (الوجه الثالث) معناه في اهدنا الصراط المستقيم عرّفنا يا إلهنا ما في كل شيءٍ من كيفية دلالتهِ على ذاتك وصفاتك (الوجه الرابع) اهدنا صراط من انعمتَ عليهم من المتقدمين المُحِقّين المستحقين للجنّة . . . وهم الانبياء والصالحون وان نعمة اللّٰه على اولئك هي نعمة الايمان فرجع حاصل القول في قولهِ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم انهُ طلب نعمة الايمان اه فحاصل ما تقدّم ان محمداً أُمِر بطلب الهداية الى ايمان وسيرة المتقدمين من انبياء اللّٰه واتقيائهِ ومن المعلوم ان اصول ايمان اولئك القدماء المنعم عليهم من اللّٰه هي مُدوّنة في اسفار الكتاب المقدس المنسوبة اليهم كاسفار موسى وصموئيل وداود واشعيا وارميا وغيرهم من رجال العهد القديم واسفار الانجيل فقد تبيّن اذاً بجلاءٍ من كلا البحثين

في مراد الآية المذكورة ان الصراط المستقيم الذي أمر محمد وتابعوه بطلب الهداية اليه هو الكتاب المقدس صراط الذين انعم الله عليهم من الانبياء والابرار السالفين وهو يوافق تماماً نص الآية. ولقد اتينا موسى الهُدَى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدىً وذكرى لأُولي الالباب (والآية) ثم اتينا موسى الكتاب تماماً على الذي احسن وتفصيلاً لكل شيء وهدىً ورحمةً لعلّهم بلقاء ربهم يؤمنون (الانعام آية ١٥٣) وهنا اسألك أزال هذا الصراط صراط الانبياء السالفين ام هو باقٍ فان كان زالَ فطلب الهداية الى ما قد زال عبث وان كان باقياً فاين هو الا وهو عند اهلهِ اليهود والنصارى المأمور محمد بسؤالهم لازالة ريبهِ واىّ فرقٍ بين القول وقُل للذين أتوا الكتاب (آل عمران آية ١٨) او بين الذين أُوتوا الصراط لان الصراط في الآية يراد بهِ حسبما تقدم معرفة الله او الايمان بهِ بحسب حق ذاتهِ وصفاتهِ وهو السبيل الى الله وجنّتهِ وهذا هو مضمون الكتاب الذي هو هدىً وذكرى لأولي الالباب فان كان هذا الصراط المستقيم كتاب العزيز الرحمٰن الذي انزلهُ على انبيائهِ ومرسليهِ الاقدمين واورثهُ لبني اسرائيل باقياً غير مثلوم كما قد تبيّن لك بالكفاية فيما تقدم في هذا الكتاب فعلامك تقتصر على طلب الهداية اليهِ دون ان تتخذهُ وتسير عليهِ أتطلب يا جائع الخبز والخبز امامك ولا تتناولهُ اوتطلب النور للهدى والنور لديك ولا تسير بهِ وهل من العقل طلب المرءِ الهداية الى ما يظنّ انهُ في غِنًى عنهُ

واخيرًا اقول لقد رأيت ايها القارئ العزيز ان محمداً لم يأتِ بمعجزةٍ مّا برهاناً لدعواهُ انهُ نبيّ الله ورسولهُ وما كان يُعَدّ لهُ معجزة وهو القرآن ظهر لدى البحث والتنقيب انهُ ليس بمعجزة وانهُ باعتبار دعواه كنبيّ الله ورسولهِ لم يُرسل مُكرِهًا الناس الى الدين ولا مجازيًا المعرضين عن قبول دعواهُ بطريقةٍ مّا بل فقط مبشراً ونذيراً عليهِ البلاغ وعلى الله الحساب وان مسألة الناسخ و المنسوخ حسبما دُوِّن في الباب الثالث هي غايةً في التناقض والاشكال البعيد وقوعهُ من الله والمنافية لحكم العقل السليم فيا ايها المسلم ألّا ترى انهُ باعتبار الاقوال القرآنية الواردة في هذهِ الثلاثة الابواب لا برهان لصحة دعوى محمد بالنبوّة والرسالة على انهُ يُرى ان الخطّة التي سلكها باعتبار رئيس أمّة هي خطّة تشف عن حذقٍ غريب وذكاء مُفرطٍ لملايمتها الزمان والمكان وان ما ورد في الثلاثة الابواب الاخر هو من امتن الشهادات واحسنها لصحة الدين المسيحي المرسوم في كتاب الله هذا وانت تعلم يا عزيز اني لم اسلك في هذا

التأليف مسلك التحيّل المعيب المتسبِّب عن الغرض الجنسي وحب الانتصار وبقدر امكاني تجنبت الغلوّ في الكلام ولم يكن قصدي في بادئ الامر سوى الوقوف على آراءِ علماء الاسلام الاولين من جهة مرادِ مثل هذهِ الآيات التي كنت اتأمّل فيها زماناً باوفر اندهاشٍ وحيرةٍ ولمّا رأيت ان جُلّ تلك الآراء يوافق صراحة تلك الآيات ومفادها البديهي اعتمدت ضمها وترتيبها مع خلاصة تأويلها وملاحظاتي عليها كما قد رأيت في هذا المؤلّف بحيث يستطيع المسلم وغير المسلم ان يقف باوفر سهولة وأخصر وقت على اهم قضايا القرآن المتعلقة بالكتاب والدين المسيحي.

واني اعتقد اني في تأليفي هذه القضايا المهمّة على هذا الاسلوب قد خدمتُ اهل الاخلاص والتقى من المسلمين احسن خدمة تمكن لمثلي ومن المعلوم ان احسن الادوية النافعة لاعادة الصحة قد تُنبَذ وتطرح من ذوي الجهالة حال كونهم باشدِّ الحاجة اليها على ان اهل الذكاء والنبالة يقدّرون الشئَ حق قدرهِ ناظرين الى ما يُقال لا الى من قال فأسألهُ تعالى ان يجعل هذا الكُتيب موضوع تامّل ذوي التعقّل ووسيلة التنبّه الى ما هو حقٌّ وصالح لعبادهِ وان يعمّهم بهداهِ ورشادهِ لهُ الحمد والاكرام الآن وعلى الدوام

آمين

فهرس الكتاب